عبد الهادي الفؤادي

القصص في العصر الاسلامي

ساعدت وزارة التربية على طبعه

تقديم
الدكتور ابراهيم السامرائي
استاذ مساعد في كلية الآداب
بجامعة بغداد

طبع بمطبعة دار الزمان ـ بغداد
١٩٦٦

عبد الهادي الفؤادي

القصص في العصر الاسلامي

ساعدت وزارة التربية على طبعه

تقـديم
الدكتور ابراهيم السامرائي
استاذ مساعد في كلية الآداب
بجامعة بغداد

طبع بمطبعة دار الزمان ـ بغـداد
١٩٦٦

الباب الاول

القصص التاريخي والديني

تقديم

بقلم :
الدكتور ابراهيم السامرائي

هذه محاولة طيبة جادة يقوم بها الاديب السيد عبدالهادي الفؤادي في موضوع « القصص في العصر الاسلامي » ، والسيد الفؤادي من الذين هووا البحث والكد وفي كل مرة يخرج بثمرات يانعات . لقد عرفته طالبا في قسم الاثار من كلية الاداب في بغداد جادا كأحسن ما يكون الجد ، مفيدا من وقته وظروفه الافادة المقتضاة . وربما كان بدعا بين اقرانه ممن شغلتهم الدراسات القديمة التي تقوم على النصوص العتيقة بالرسم المسماري ، أقول بدعا لان اولئك قلما يتركون تلك النصوص العتيقة الى غيرها في حين ان السيد الفؤادي مولع بالمعرفة اشد الولوع يهوى كل جديد اليه . ومن اجل هذا فقد تناول هذا الموضوع . وهذا الموضوع وان كان لا يخرج من ميدان التأريخ القديم ، فهو ذو جوانب ادبية تقتضي الباحث ان يكون واسع المعرفة بالادب وعلوم العربية . وقد تناول السيد الفؤادي الموضوع من الناحية التأريخية فعرض للرواد الاوائل في ميدان الحكاية والقصة ، كما عرض للاصول التي اعتمد عليها هذا النمط الحكائي من الادب القديم .

وانا اذ اقدم للاديب السيد الفؤادي آمل مخلصا ان تتهيأ له الظروف النافعة ليصل الى مبتغاه والسلام .

بغداد ـ ١٧ نيسان ١٩٦٤

الدكتور ابراهيم السامرائي
استاذ مساعد في كلية الاداب
بجامعة بغداد

تمهيد

ان تناول موضوع « القصص في العصر الاسلامي » لم يكن جديدا في بابه ، بل تصدى له كتاب كثيرون وتناولوه بالبحث ، اضافة الى ما جاء في كتب التأريخ والادب عن القصص والقصاص وما كانوا يقصون به الناس من روايات وحكايات وما الى ذلك .

والبحث الذي نحن بصدده ، كنت قد بدأت فيه عام ١٩٥٩ عندما كنت طالبا في كلية الاداب . الا انني لاحظت بعد تخرجي — وبتشجيع كريم من استاذي الفاضل الدكتور ابراهيم السامرائي الذى اولاني عنايته — ضرورة اكمال هذا البحث وتوسيعه . وكان لذلك التشجيع اثره البالغ في اعداد هذا البحث المتواضع .

والواقع انني بعد مراجعة كثير من المصادر ذات العلاقة بالبحث ، وبعد دراستي له بشكل شامل ، وجدت ان ثمة ضرورة تستدعي دراسة هذا الموضوع بشكل جديد ومستفيض بحيث تتم فيه وحدة الموضوع ، اي العمل على تهيئة دراسة بهذا الخصوص تستكمل فيها عناصر البحث ، وتطرح فيها كل ما ورد من آراء وروايات مع مناقشة تلك الاراء والروايات وغيرها بروح علمية بحتة .

وموضوع البحث هذا ، ليس موضوعا هينا في واقعه ، فهو عميق وواسع ويحتاج الى كثير من التدقيق والتمحيص والتروي ، زد على ذلك فأن ما آل الينا من روايات واقاصيص بهذا الخصوص بحاجة الى دراسة واستقراء عميقين حتى يأتي الحكم عليها او تثبيت الرأي بخصوصها منسجما مع طبيعة البحث ودقته من الوجهة العلمية .

وهنا فلا بد لي ان اشير الى ملاحظة مهمة قد تعترض القاريء الكريم ألا

وهي الاسهاب في الباب الاول من هذا البحث ، في الوقت الـذي كان الايجاز نصـيب الباب الثـاني منه • والواقع فأن ذلـك امر ضروري تستدعيه طبيعة البحث • فالبـاب الاول في حقيقته يعتبر مركز الثقـل والاساس بالنسبة لموضوعنا ، فهو يتسم بالاهمية والعمق نظرا لما يحويه من جوانب متعددة تتطلب مزيدا من التفصيل والتدليل معززا بالنصوص التأريخية اللازمة • فهو يشمل مثلا القصص القرآني : نشأته وظروفـه والتأثيرات التي طرأت على القصص الاسلامي وعلى القصاص ، وكذلك عن المصادر التى استقى أولئك القصاص الاوائل قصصهم منها ومـدى علاقة تلك وتأثرها بكتب العهد القديم والاسرائيليات • ثم تطرقنا في هذا الباب الى نظرة المسلمين الى القصاص ، ومكانة القاص لدى العلمـاء وتطور تلك المكانة ، حتى لاحظنا في الباب الثاني ان تلك المكانة واولئك القصاص يصحبون مجرد ظرفاء يتفكهون برواية القصص طمعا في لفت انظار الناس اليهم والهائهم واضحاكهم • ولهذا نرى تلك القصص تنزل بمجموعها اسلوبا وغاية ومعنى الى اتعس منزلة بعد ان كانت تنزع الى اكرم الغايات وانبل المعاني ، وتنشد ــ بما كانت تحويه من اسـاليب الوعظ والارشاد ــ الى زرع الفضيلة وخدمة الديـن الحنيف ، غدت اخيرا مجرد اقاصيص لا يقصد منها سوى التندر والتسلية • ولهذا لـم اجد ثمة حاجة تستدعي الاسهاب في الباب الثاني ، والاكتفاء بايراد بعض النماذج من رواد هذا اللون من القصص مع بعض اقاصيصهم حتى يحيط القاريء الكريم علما بجوانب هذا النمط من القصص الاسلامي بعد ان انحطت مكانته ، واسيء استعماله ووصل الى هذه الحال المتردية •

انني في الوقت الذي اقدم هذه الدراسة الى القاريء الكريم ، لا اعتقد جازما بأنني قد وفيت الموضوع حقه ، فهو بحث متواضع احببت رغبة واسهاما مني في خدمة تراثنا الحضاري والفكرى ان اهيء هـذه

الدراسة واقدمها لقراء العربية ، علما بأني اعلم سلفا مبلغ المسؤولية العلمية والتاريخية الملقاة على عاتقي ، والتي حاولت جهد ما استطعت ان اكون امينا على تحملها وايراد النصوص والروايات وتثبيت مصادرها كما يجب ، عسى ان اكون قد وفقت في مجهودي هذا .

وفي الختام فأنه لا يسعني الا واتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني وشجعني على اخراج هذا الكتاب الى النور ليستفيد منه القاريء الكريم(١) ومن الله التوفيق .

بغداد ـ ٢٤ آب ١٩٦٤

عبد الهادي الفؤادي

---

(١) واخص بالذكر الاستاذ الدكتور السامرائي لمراجعته هذا البحث .

الفصل الاول

القصة وتطورها

القصص في القرآن

لقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : « نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت قبله لمن الغافلين » • وجاء في موضع اخر قوله جل شأنه : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »•

والواقع اننا لو تصفحنا كتب اللغة وما ورد فيها من معان بخصوص مادة (ق ص ص) ، لوجدنا شيئا كثيرا ، فقد ورد أن : (القص) هو : اتباع الاثر ، ويقال خرج فلان قصصا في اثر فلان وقصا وذلك اذا اقتص اثره • وقيل القاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر ، وسوقه الكلام سوقا • هذا ما رواه اللغويون[1] •

اما في كتب التفسير ، فتخطوا المسألة خطوة الى الامام ذلك لانهم ينظرون الى المسألة باعتبارين : اعتبار لغوي ، يعتمدون فيه على ذلك الحصيل اللغوي كما مر آنفا • واعتبار ديني ينظرون فيه من وجهة نظر خاصة هي قصد القرآن الكريم من قصصه او اهدافه التي يرمي اليها •

يقول الرازي وهو واحد من المفسرين الذي يمثل الاعتبارين آنفي الذكر ويقترب الى حد ما من الميدان الادبي عند تفسيره للآية السابقة

---

(١) النيروزآبادي ـ القاموس المحيط ، مادة (قص) فصل القاف باب الصاد .

« نحن نقص عليك .... الخ » ما يأتي : القصص اتباع الخبر بعضه بعضا ، واصله في اللغة المتابعة ، قال تعالى : « وقال لاخته قصيه » اي اتبعي اثره ، وقال تعالى « فارتدا على آثارهما قصصا » اي اتباعا . وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا ، وهو قول يدل على ان الرازي يحاول التقريب بين المعنى اللغوي وبين الاصطلاح الادبي وذلك حين يربط بين الاثنين باستعماله لفظ الحكاية واطلاقه لفظ القصة عليها ، والرازي بذلك يدخل الميدان الادبي او يقترب منه وذلك لان القصة الدينية ليست الا لونا من الوان القصص الادبي[1] ..

ان القرآن بدون شك ادخل بقصصه التأريخية المسوقة للعبرة[2] فنا من الفنون الجديدة في الادب العربي كفن القصة . وكانت قصصه كما قلنا مستفيضة ملمة بالاحداث الى ابعد مداها من الكمال حتى لقد استوعب بعض السور الكبرى كسورة يوسف ، او جاء نبذا متفرقات في خلال بعض السور كقصة آدم وابراهيم وموسى وعيسى ، او جاء باشارات والمامات حملت جمهور المتخصصين بتلك القصص على الرجوع الى كتب العهد القديم ، كقصص يعقوب وانبياء بني اسرائيل كما يذكره الاستاذ جلال في كتابه قصص من القرآن وهذا ما دعا بعض الباحثين الى ان يذهبوا الى القول في ان معظم اولئك القصاص كانوا قد تأثروا بقصصهم الى حد كبير بكتب واقاصيص اهل الكتاب من نصارى ويهود

---

(١) خلف الله ــ الفن القصصي ، ص ١٣٥ ــ ١٣٦

(٢) قال تعالى بعد ذكره لقصة يوسف : « لقد كان فى قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفتري ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » سورة يوسف آية ــ ١١١

كما سنرى فيما بعد[1] .

لقد كان القرآن ـ بالطبع ـ مادة خصبة لاولئك القصاص الاول الذين وجدوا فيه ضالتهم المنشودة ، فاتخذوا من الحـوادث والقصص والاشارات التي اوردها سندا ومصدرا يؤكدون فيه ما يقصون به الناس على ان كل ما يذكرونه انما هو تفسير للقرآن ووارد فيه بالرغم من بعده عن الحقيقة بل وتفاهته ازاء العبرة والموعظة التي يرتجيهـا القرآن من ايراده لهـا .

وبناء على مفهومنا هذا يمكننا الوصول الى نقطـة جوهرية ذات بال في الموضوع ، وهو ان اولئك القصاص كانوا باديء ذي بدء وعاظا يعظون الناس في المساجد وذلك بتفسيرهم القرآن . وبهـذا اخـذوا ينزعون بتفسيراتهم هذه وبوعظهم هذا الى القصص والاساطير في دائرة خاصة بالنسبة لهم .

ان اعتماد المفسرين على الثقـافة التاريخيـة والاسرائيليات وعلى الفروض النظرية لفهم القصص القرآني لم يصل بهم في كل موطن الى ما يريدون من كشف عن الغموض وازالة للابهام وانه على العكس من ذلك وصل بهم الى متاهات ، فلم يصلوا الى وجه الحق في المسألة وهذا هو الذى نراه في تفسيرهم لقصـة « الذى مر على قرية وهي خاويـة على

(1) من الملاحظ ان القرآن ابهم مقومات التاريخ فى قصصه ، فأبهم الزمان والمكان ، وابهم في كثير من المواطن الصفات المميزة للاشخاص . واختار من الاحداث التأريخية بعضا دون بعض . صنع القـرآن كل هذا او احسن المفسرون منه بهذا الصنيع وشـعروا بأن الفهـم التاريخي للقصص القرآني لن يستقيم حتى يذهب هذا الغمـوض التأريخي ، وحتى يذهب ما قصد اليه القرآن من ابهام . ومن هنا رأيناهم يعمدون الى الثقافة التأريخية والى الاسرائيليات ، بل رأيناهم احيانا يعمدون الى الفروض النظرية الصرفة لعل واحدة منها او كلها مجتمعة تزيل عن القصص القرآني ما به من غموض او ابهام تأريخي . راجع **خلف الله ، الفن القصصى ، ص ٣٣ ـ ٣٤**

عروشها » وفي شرحهم لمسألة كيفية دخول ابليس الجنة بعدئذ اخرجه الله منها ليوسوس الى آدم ويدفعه الى الاكل من الشجرة[١] •

ومن الجدير ذكره هنا ما أورده الاستاذ جولد تسيهر بقوله : ـ « كما كان هناك ما ورد في الكتب السابقة من مختلف القصص التي حملها محمد (ص) نفسه بمنتهى الايجاز واحيانا على وجه متداخل ومن ذلك اراد المؤمنون ان يتعرفوا خبرا قريبا فلا شك انه اثار فضولهم وتطلعهم العلمي الى حد ابعد من البيان الدقيق عن التشريعات الفقهية ، وقد طابق الطلب عرض غزير ، فقد وجدت طائفة من علماء الكتاب الفضوليين الذين سدوا ثغرات القرآن بما تعلموه من اتصالهم باليهود والنصارى وأتموا ما تلقوه عنهم من القصص التي كثيرا ما رددوها عن سوء فهم بنتاج خيالهم الخاص وارسلوا كل ذلك على انه تفسير للقرآن •••• »[٢]

وعليه فأن اولئك القصاص الذين بدأوا حلقاتهم الاولى في المساجد كانوا قد اتخذوا من الوعظ والارشاد سبيلا لهم • وكانت معظم قصصهم يلعب فيها الخيال دورا هاما • فكانوا يعظون المسلمين ويقصون عليهم حكايات عن الجنة والنار والحياة الآخرة وما يجب ان يفعله الانسان لكي يصبح ممن يستحقون الجنة ثم يفسرون القرآن تفسيرات قصصية غاية في الطرافة ، لا تبدو فيها سوى المسحة الخيالية والاسطورية • كقصص الخليقة ، وابتداء الكون ، والعرش ، والقلم ، واللوح ، والطوفان وما الى ذلك من قصص اوردها القرآن تلميحا وايجازا •

ذكر البلخي رواية يرفعها الى ابن عباس قال : ـ قيل سألت بنو

---

(١) خلف الله ـ الفن القصصي ، ص ٣٥

(٢) جولد تسيهر ـ مذهب التفسير الاسلامي ، ص ٧٥

(٣) البلخي « المقدسي » ـ البدء والتاريخ ج٢ ص ٥٥ ـ ٥٦

اسرائيل موسى : — مذكم خلق الله الدنيا ؟ فقال موسى : — يا رب اما تسمع ما يقول عبادك ، فأوحى الله اليه اني خلقت اربعة عشر الف مدينة من فضة وملأتها خردلا ، وخلقت لها طيرا ، وجعلت رزقه كل يوم حبة من ذلك الخردل ، فأكل الخردل حتى فنى ما في الخزائن ثم خلقت الدنيا. فقيل لابن عباس : فأين كان عرشه ؟ قال : — على الماء ، قيل فأين كان الماء ؟ قال : — على متن الريح .

على ان المقريزي يورد رواية اخرى في هذا الخصوص ، وهي بحد ذاتها واضحة ويبدو ان القصاص الرواة قد اخذوا هذه القصة عن بني اسرائيل على علاتها دون التمحيص فيها ومناقشة مدى صحتها . فقال :— روي ان الارض كانت معمورة بأمم كثيرة ، منهم الطم والرم ، والجن والبن ، والحسن والبسن ، وان الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة، ولما خلق الله الارض عمرها بالجن فعاثوا وسفكوا الدماء فأنزل الله اليهم جندا من الملائكة فأتوا على اكثرهم قتلا واسرا[1] .

واستمر القصاص يقصون قصصهم ومواعظهم على هذه الشاكلة. وكان مما تطرقوا اليه ذكر اللوح والقلم والعرش وغيره من روايات . فأبو هريرة مثلا يروي عن النبي ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم من نور ووجوههم من نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء ، فقالوا يا رسول الله صفهم لنا : — فقال : هم المتحابون في الله ، والمتجالسون في الله ، والمتزاورون في الله[2] .

والواقع اننا لو امعنا النظر مليا في الاقصوصة آنفة الذكر ، وتبينا معناها ، وتلمسنا الدوافع التي دعت رواتها في تثبيتها بشكلها السابق على ما فيها من بعد عن الحقيقة والواقع ، لاتضح لنا جليا بأنهم ربما كانوا مدفوعين بدوافع خيرة قد يكون الاثر الديني قد لعب دورا هاما في ذلك.

(١) المقريزي — الخطط ، ج٢ ص ١٢

(٢) جولد تسيهر — مذهب التفسير الاسلامي ، ص ١٦٨

فهم يريدون مثلا توجيه الناس نحو مثل وقيم خيرة نبيلة كالتحابب والمجالسة والتزاور في الله والعمل على تركيزها في نفوس المسلمين باعتبارها امور طيبة ومناقب حميدة ولا ضير من ذلك ــ على ما يبدو ــ من نسبة تلك الروايات واضرابها الى الرسول الكريم لكي يصبح الخبر ذا سند قوي مهيب له وقعه في نفوس المسلمين •

ومما يلاحظ هنا ايضا ان بعض الكتاب والمؤرخين المسلمين غير متأكدين من بعض الامور التي ترد في اقاصيصهم واخبارهم التي يروونها فالبلخي مثلا عندما يتكلم عن العرش وحملته ، وكيف ان الملائكة قد خلقوا للقيام بتلك المهمة ، يشكك مثلا فيما ورد من وصف لاقدارها واجسامها ، فقد جاء في الرواية عن اولئك الملائكة بأنهم اليوم اربعة : ــ وجه احدهم على صورة وجه النسر ، والثاني كوجه الاسد ، والثالث كوجه الثور ، والرابع كوجه الرجل : فاذا كان يوم القيامة ضمت اليهم اربعة اخرى ، قوله تعالى : ــ « ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية ، وفي رواية ابن اسحاق ان رسول الله (ص) انشد قول امية بن ابي الصلت : ــ

حبس السرافيل الصوافي تحته
لا واهن منهم ولا مستوغد

رجل وثور تحت رجل يمينه
والنسر للاخرى وليث مرصد

فقال عليه السلام : ــ صدق هكذا الرواية والله اعلم بصدقها •• »(١)

نظرة بسيطة على هذه القصة الساذجة ترينا المدى البعيد الذي وصلت اليه القصة بما تضمنته من خيالات اسطورية ونظرات شعوذة ، ولا غرو فسنرى اغرب من هذا واكثر ، ولذا نقول : ــ ما الذي حدا

---

(١) البلخي « المقدسي » ــ البدء والتأريخ ، ج١ ص١٦٧

به تعالى لان يخلق هؤلاء الملائكة ـــ لو صحت الاسطورة ـــ على الشاكلة التى سردتها لنا الرواية !!! ، بل ولماذا هذا التغاير في الاجناس ، رجل .. وثور .. ؟!؟ وما الى ذلك من خزعبلات ، ثم لماذا كان القصاص يأخذون هذه وتلك بمأخذ الصحة ؟ واذا كان الامر هو العكس فلماذا كانوا يقصونها على المسلمين !!

على ان الواضح في الرواية هو التشكك الوارد فيها حيث جاء في نهايتها : ـــ « والله اعلم بصدقها » ، وهو على ما يبدو ان الرواة انفسهم لا يستطيعون ان يعطوا رأيا قاطعا في مدى صحة ما يروون وما يقصون .

ولم تقف خيلات القصاص الاسطورية عند هذا الحد فحسب ، بل تعدى ذلك الى ابعد منه ، فأخذوا مثلا يقصون بصدد قوله تعالى : ـــ « ن والقلم وما يسطرون » ، وفي وصف القلم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ما يخرج عن نطاق المعقول من التفكير وربما كان للثقافات الدينية القديمة اثرا في ذلك ومصدرا هاما . فالبلخي مثلا يروي في هذا الخصوص(١) ان القلم طوله ما بين السماء والارض ، وانه خلق من نور، وفي صفة اللوح انه محفوظ طوله ما بين السماء والارض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب معقود بالعرش ، يصك ما بين عيني اسرافيل وهو اقرب الملائكة الى العرش . فاذا اراد الله تبارك وتعالى ان يحدث منه خلقه شيئا ، قرع اللوح جبهة اسرافيل فأطلع فيه فاذا فيه ما اراد الله تعالى ، يقول الله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » فيأمر به جبرائيل او من يليه من الملائكة » .

لا شك ان القصة اعلاه فيها من الامور ما يدعو الى التساؤل والاستفهام وبالتالي الى الشك .. !!!

نعود ثانية ونقول : ـــ ان مسألة البدء والخليقة وخلق الكون بما

---

(١) البلخي « المقدسي » ـــ البدء والتأريخ ، ج١ ص١٦٢ وما بعدها .

فيه من مخلوقات وعجائب كان الشغل الشاغل الذي ذهب فيه قوم كثيرون ، وقصاص اكثر ، يفسرون الآيات الواردة بهذا الخصوص ، والقصص المذكورة والتلميحات الجائية في القرآن ، بتفسيرات كيفية مضافا اليها بعض الاراء الغريبة والخيالات المريبة التي تضفي عليها — كما اسلفنا — مسحة اسطورية ، ولنأخذ مثلا ما اورده البلخي عن الحسن بن هشام عن ابن عباس قوله : — اول ما خلق الله من شيء القلم، قال اكتب ، فقال : اي ربي وما اكتب ؟ قال : — القدر ، فجرى القلم بما هو كائن من ذلك اليوم الى يوم القيامة ، وقال : ثم خلق النون ، فدحا الارض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات فاضطربت النون فمارت الارض فأثبت الجبال ، وان الجبال تفخر على الارض يوم القيامة[1] .

اما الطبري فيزيد على تلك الرواية شيئا غير ما لاحظناه فيقول : — وفي يومي الاحد والاثنين خلق الله الارض على حوت[2] ، والحوت هو النون الذي ذكره الله عز وجل في القرآن « ن والقلم » ، والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة، والصخرة في الريح ، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الارض ، فتحرك الحوت ، فاضطرب فتزلزلت الارض فأرسى عليها

---

(١) البلخي « المقدسي » — البدء والتأريخ ، ج١ ص ١٤٦ ، ص ١٤٧

(٢) اسم الحوت « **لوتيا** » وكنيته « **بلهوت** » ولقبه « **بهموت** » ، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال ، والحوت على البحر ، والبحر على متن الريح ، والريح على القدرة ، وثقل الدنيا وما عليها حرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار كوني فكانت ، فذلك قوله عز وجل : — « انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون » .

راجع ذلك مفصلا في : — **الثعلبي — قصص الانبياء** « العرائس » ص ٤ . كذلك راجع : ياقوت ، معجم البلدان ج١ ص ٢٣ — ٢٤ ففيها اقاصيص وتعليقات طريفة .

الجبال فقرتها ، فالجبال تفخر على الارض ، فذلك قوله تعالى : ــ « القى في الارض رواسي ان تميد بكم ... »[1] .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان المؤرخين المسلمين تفننوا في ابتداع المسميات واطلاق الكنى على ما يقصون بخصوص الحوت التي يقصدون بها النون الذي ورد ذكره في التنزيل الحكيم . وهي بلا منازع اقاصيص وروايات بالغة السخف والتفاهة فلندقق مثلا فيما اورده الثعلبي والذي مر معنا قبل قليل بقوله : ــ ان اسم الحوت هو « لوتيا » ، وكنيته « بلهوت » ... الخ . ترى كم هو مبلغ البساطة والسذاجة في هذه الرواية ، ولكن دعنا من ذلك فهناك شيء آخر نود ان نضيفه في هذا الباب وهو القصص والروايات والاخبار التي وردتت بأشكال شتى وكلها تتضمن امورا مختلفة ، وبالاخص ما يتعلق منها في زمان خلق الله الارض وتصويره المخلوقات واحلاله اياها الكون وكيفية ذلك .

ومن هذه مثلا ما يرويه الطبري من ان اليهود اتت النبي (ص) فسألته عن خلق السموات والارض ، فقال : ــ خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه اربعة قال: «أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين ، وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين » ، قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات تبين منه

---

(١) الطبري ــ تاريخ الامم والملوك ، ج١ ص ٣٥ وما بعدها . كذلك راجع ياقوت الحموي ــ معجم البلدان ، ج١ ص ١٣ وما بعدها ــ الباب الاول في صفة الارض وما فيها .

فخلق في اول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال ، من يحيا ومن يموت، وفي الثانية القى الآفه على كل شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة خلق آدم واسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في آخر ساعة ؛ ثم قالت اليهود : ــ ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ــ ثم استوى على العرش ، قالوا : ــ لقد اصبت لو اتممت ، قالوا : ــ ثم استراح فغضب النبي(ص) غضبا شديدا فنزلت الآية : ــ « ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون »[١] .

ولو امعنا النظر في هذه الاقصوصة ، للاحظنا انها وان كانت قد وردت في كتاب الطبري ، الا انه من الواضح لدينا تماما ان الطبري كعادته لا يعطي رأيه في كل رواية او خبر يورده ، وهنا لا بد ان تقول :ــ هل ان اليهود جاؤا الى النبي ممتحنين ام مستفسرين ؟ ثم كيف أن النبي الذي اورد كل هذه المعلومات على علاتها كما وردت في الرواية ــ وان كانت تكتنف معظمها خيالات اسطورية ــ لم يستطع في النهاية ان يكمل او ان يفي السؤال جوابا شافيا حتى انه يثور ويغضب من كلام اليهود !! اضف الى ذلك ان الآية صريحة : بأن الخلق قد تم خلال ستة ايام ، وان الارض في يومين ... الخ . ولكن كيف يمكن الوقوف على صحة بقية المعلومات التى روتها لنا القصة لا سيما وانها دارت بين الرسول من جهة ، وجماعة من خصومه ــ وهم اليهود ــ من جهة أخرى ، وقد تكون منتحلة على الرسول ومستقاة من كتب واسفار العهد القديم وهذا شائع وكثير[٢] .

---

(١) الطبري ــ تاريخ الامم والملوك ، ج١ ص ١٤ ــ ١٥
البلخي « المقدسى » ــ البدء والتاريخ ، ج٢ ص ٥٣

(٢) لقد اورد الكتاب المقدس في الفصلين الاول والثاني من سفر التكوين اشياء كثيرة عن هذا الموضوع ، اي فيما يتعلق بعملية الخلق والايام التي استغرقتها وتفاصيل ذلك وهو مقارب جدا لما اورده الطبري اعلاه في روايته .

الحقيقة اننا لو تتبعنا هذا اللون من القصص لاستطعنا ان نتلمس امورا كثيرة وخصوصا ما يتعلق منها بالتأثيرات الدينية القديمة . فالثقافة اليهودية مثلا ، استنادا الى ما جاء في التوراة وفي المزامير والاسرائيليات تعتبر المعين الدافق الذي نهل منه بعض رواة الاسلام او تأثروا ببعض الحكايات اليهودية بأسلوب او بآخر . فقصص الخليقة والبدء والتكوين تعج بالفذلكات اليهودية التي طبعت كثيرا من الروايات الاسلامية ، ولهذا نرى اصولها واضحة في كتب العهد القديم .

فالطبري مثلا ينقل لنا رواية مرفوعة السند الى ابي هريرة يقص فيها هذا خبر خلق الله العالم وكيفية ذلك والايام التي استغرقتها عملية الخلق فيقول : ــ اخذ رسول الله بيدي ، فقال : ــ خلق الله التربة في يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الاربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة . آخر خلق خلقَ في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر والليل[1] .

نظرة واحدة على هذه الرواية ترينا مدى التفكك في الأسلوب والمضمون اضف الى ذلك انها اوردت اشياء معنوية وقد اعطاها الراوي يوما كاملا لخلقها كالمكروه مثلا والذي لا يجوز للمرء قطعا ان ينسب حدوثه للخالق تعالى ، وكأني به متأثرا بنظرته هذه بنظرية اولئك الذين يعتقدون بالخير والشر .. الخ . طبيعي الامر لا يعدو كون القاص اراد ان يضفي على ما سطرته مخيلته من اساطير صفة الصحة والشرعية بأن نسبها الى النبي (ص) والنبي منها براء .

والواقع فأن قصص الخليقة كثيرة وكثيرة جدا ، فمعظم الكتب الاسلامية المهمة ملأى بمختلف الحكايات والروايات في هذا الباب ،

(1) الطبري ــ تاريخ الامم والملوك ، ج1 ص15

فقد آلت الينا اقصوصة طريفة عن خلق السموات والارض وكيفية ذلك وقد تخللتها تعليلات لبعض الضواهر الطبيعية كالرعد مثلا وغير ذلك من الشروح والايضاحات التي وضعت توضيحا لبعض الايات القرآنية مما يدل بجلاء على البساطة في التفكير والسذاجة في التأويل .

والاقصوصة هذه تقول ان الله تعالى لما اراد ان يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء اضعف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة ، فصارت ماء ، ثم نظر الى الماء فعلا وارتفع منه زبد ودخان وبخار وارعد من خشية الله ، فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة ، وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى : « ثم استوى الى السماء وهي دخان » اي قصد وعمد الى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ما ظهر من الارض على وجه الماء « مكة » فدحا الله الارض من تحتها فلذلك سميت ام القرى يعني اصلها ، وهو قوله تعالى : « والارض بعد ذلك دحاها » ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى : « او لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه ، احدى يديه في المشرق والاخرى في المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من اعلى الفردوس ثورا له سبعون الف قرن واربعون الف قائمة ، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فاصدر الله ياقوتة خضراء من اعلى درجة من الفردوس غلضها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى اذنه ، فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض وهي كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر

وهو يتنفس كل يوم نفسا ، فاذا تنفس مد البحر ، واذا رد نفسه جزر، ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار ، فخلق الله تعالى صخرة خضراء، غلظها كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها »(١) .

الحقيقة ان هذه الرواية وامثالها ليست بحاجة الى كبير عناء فمضمونها واضح واسلوبها الذي تعافه النفوس بمحتواه وينفر منه المنطق امر لا يحتاج الى تعليق .

اما بخصوص العرش ــ وقد مر الكلام عنه قبلا ــ وردت حوله قصص شتى من ذلك ما اورده الطبري عن عبد الصمد بن معقل قال هذا : ــ سمعت وهب بن منبه يقول : ــ ان العرش كان قبل ان يخلق السموات والارض على الماء ، فلما اراد ان يخلق السموات والارض قبض من صفاة الماء قبضة ثم فتح القبضة فارتفعت دخانا ثم قضاهن سبع سموات في يومين ودحا الارض في يومين وفرغ من الخلق اليوم السابع (٢) .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه خبر لاحظته في العهد القديم يتعلق في كيفية خلق الله تعالى حواء وكيف وجدها آدم بجانبه دون سابق معرفة ومن ثم احتضنها وسكن اليها وقد وردت على النحو التالي : ــ

« فأوقع الرب الاله سباتا على آدم فنام ، فاستل احدى اضلاعه وسد مكانها بلحم ، وبنى الرب الاله الضلع التي اخذها من آدم امرأة فأتى بها آدم . فقال آدم : ــ هوذا هذه المرة عظم من عظامي ، ولحم من لحمي.

---

(١) الثعلبي ــ قصص الانبياء « العرائس » ، ص٣

ياقوت الحموي ــ معجم البلدان ، ج١ ص٢٣

(٢) الطبري ــ تاريخ الامم والملوك ، ج١ ص٢٦ ، ص١٥ ، ص٢٥ ، ص٣٠ .

هذه تسمى امراة ، لانها من امريء اخذت ، ولذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته ، فيصيران جسدا واحدا ، وكانا كلاهما عريانين وامرأته وهما لا يخجـــلان))(١) .

ولقد اورد البلخي رواية في هذا الخصوص تطـابق تلـك التي اوردتها التوراة روحا ونصا وهي تقول : ــ

« وفي الحديث ان الله تعالى لما خلق آدم القى عليه النوم ، فأخـذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ، ولأم بينهما ، وآدم نائم ثم لم يهب فخلق زوجته ، فلما هب رآها الى جنبه فقال : ــ لحمي ودمي وروحي فسكن اليها »(٢) .

وبعد الامعان في هاتين الروايتين الا يتبادر الى اذهاننا الصـــلة المشتركة التي تتمثل في كل من الروايتـــين ، واعني به المعنى الواحـد الذي تشتركان فيه ، زد على ذلـــك الالفاظ المشـــتركة والمتطابقة التي وردت في كلتيهما . الا يعني ان احدهما استقى وتأثر بالآخر ؟ ولما كانت الرواية الاولى هي اقدم من الثانية لورودها في الكتاب المقدس ، كانت

---

(١) الكتاب المقدس ، ج١ ص٧ الفصل الثاني من سفر التكوين .

(٢) البلخي « المقدسي » ــ البدء والتأريخ ، ج٢ ص٨٦
لقد اورد الثعلبي : ان آدم عندما نام اخذ الله ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر يقال له (**القصيري**)، فخلق منه حواء ، وبعد أن افاق من نومه وجدها جالسة عند راسه ، فقالت له الملائكة : ــ ما اســمها ؟ قال : ــ حواء . قالوا : ــ صدقت ، ولم سميت حواء بذلك ؟ قال :ــ لانها خلقت من شيء حي ، ومن ثم يتبع ذلك بقول ينسبه للرســول وهو : « **خلقت المرأة من ضلع اعوج فأن تقمها تكسرها ، وان تتركهـا تستمتع بها على عوجها** » . ــ راجع ذلك في : ــ الثعلبي ــ قصص الانبياء « العرائس » ، ص١٩

الثانية قد جاءت على لسان رواة ومخبرين مسلمين ولكن ــ بالطبع ــ مصدرها لم يكن اسلاميا للسبب آنف الذكر ٠

وعليه فهذا دليل آخر يثبت ان معظم بل وغالبية الاقاصيص والاخبار التي نقلها الرواة المسلمون بهذا الخصوص والتي على غرارها كانت ممتزجة ببعض الاساطير التي كثيرا ما وردت في الكتب المقدسة القديمة ٠

والواقع فأننا نلاحظ ذلك وامثاله بشكل واسع بالرغم مما يروي عن النبي في هذا الخصوص قوله : ــ اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، والخبر هذا ان تحقق صدقه او عدمه فهو واضح مبنى ومعنى الا ان العمل كان على غير ذلك ، فأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس من اخذ قولهم[1] ٠

هذا وبمناسبة ذكر آدم فقد رويت عنه اقاصيص وروايات شتى في صفته وهبوطه من السماء واسباب ذلك ، وكلها كما اسلفت كسوابقها كانت من وحي الخيال مشوبة بأساطير الاولين ٠

فمما روي عن النبي انه قال[2] : ــ ان اباكم آدم كان طويلا

(١) احمد امين ــ فجر الاسلام ، ج١ ص٢٤٨

(٢) البلخي « المقدسى » ــ البدء والتاريخ ، ج٢ ص٩٩ ، الطبري ــ تاريخ الامم والملوك ، ج١ ص٨٢ ، ص ١٠٩

واما مسألة اخذ الذرية من آدم فقد اورد الطبرى فى تاريخه ج١ ص٩١ رواية جاءت تفسيرا لقوله تعالى : « واخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » : ــ « انه لما خلق الله عز وجل آدم اخذ ذريته من ظهره مثل الذر فقبض قبضته وقال لاصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للاخرين ادخلوا النار ولا ابالي » وكأن الله قد خلق البشر اشرارا واخيارا منذ ان خلقهم وكأن الاعمال الصالحة ، والاخلاق الحميدة والسلوك الحسن فى الحياة الدنيا لا تنفع المرء ولا تجديه شيئا لانه اما في الجنة واما فى النار وقد وضع له مصيره مسبقا وهذا لا يجوز بل انما هو انتقاص من صفات البارى عز وجل .

كالنخلة السحوق ستين ذراعا ، كثير الشعر ، مواري العورة وان كان لما أكل الحنطة بدت عورته فخرج هاربا من الجنة ، فتلقته شجرة فأخذت بناصيته وناداه ربه : افرارا مني يا آدم ؟ قال : ـ لا يارب ولكن حياء منك ، فاهبطه الله الى الارض ، فلما حضرته الوفاة بعث بحنوطه وكفنه من الجنة • رواه ابن اسحاق عن الحسن عن ابي هريرة عن النبي (ص) واما ما قيل عن هامته كانت تمس السماء فمن ذلك الصلع ، وان الملائكة كانوا يتأذون مخشاه فشكوه الى الله تعالى فبعث جبرائيل دهمزه همزة طأطأ منه الى ستين •

ولست ادري كيف رتبوا مثل هذه القصص التي تخص شخصية مضى عليها عدة الاف من السنين !! ان وصفا دقيقا اسطوريا مثل هذا الوصف لا اعتقد ان نبيا من الانبياء تجرأ على وصفه ، ثم ومن يدري ان آدم كانت هامته تمس السماء ؟ وما هي وجهة تفسير ذلك بالصلع !! وهل ان النبي (ص) تفرغ من كل اعماله وواجباته المقدسة ووقته الثمين والذي كان يصرفه دوما في مراعاة شؤون الامة والشعب من الوجهتين الدينية والدنيوية ولتثبيت دعائم الدين الجديد ، حتى انه يبدأ يبث مثل هذا القصص المبتذل السخيف الذي لا يمكن ان يصدر عن نبي كريم ــ وحاشاه من ذلك ــ ولذا فأن امكانية نسبة مثل هذه الروايات ، وهذه الاخبار الى النبي مغالطة كبيرة ، بل ما هو الا محض افتراء وتلفيق •

والواقع اننا لو تتبعنا ما ورد في هذا الخصوص عن آدم من اقاصيص وحكايات اسطورية لحار العقل بها ، لكثرة ما ورد في ذلك من جهة ، ولبعد ذلك عن الحقيقة والواقع من جهة اخرى •

لا شك اننا بعد هذه النظرة الاستعراضية التي القيناها على بعض القصص التي وردت تأويلا وتفسيرا لكثير من الامور التي اما جاءت لها اشارات في القرآن الكريم او رويت نقلا عن النبي وما تخلل تلك الحكايات والروايات من افكار غريبة تدل دلالة واضحة على اصولها وتأثيراتها التي هي دون ريب انتقلت مع حاملي تلك الثقافات وبالاخص اولئك الذين كانوا قد تشبعوا قبل اسلامهم بأفكار واخبار العهد القديم كوهب بن منبه مثلا او كعب الاحبار وما الى ذلك من القصاص والرواة الاوائل .

وعليه اصبح بأمكاننا الان ان نرسم صورة واضحة لمنشأ تلك القصص واصولها وكيف انها استخدمت باديء الامر لاغراض دينية او قل لشرح بعض الامور التي اريد لها ان توضح او تخدم الدين الجديد ، الا انها ادخلت على المسلمين كثيرا من اساطير الامم الاخرى كاليهودية والنصرانية كما كانت بابا دخل منها على الحديث كذب كثير وافسد التأريخ بما تسرب منه حكاية وقائع وحوادث مزيفة اتعبت الناقد واضاعت معالم الحق .

على ان اكثر ما يلفت النظر ويسترعي الانتباه هو ان معظم اولئك القصاص كوهب بن منبه وكعب الاحبار وتميم الداري واضرابهم هم كتابيون وهم من جنوب الجزيرة العربية من اليمن . دخلوا الاسلام فيما بعد وكانوا قبلا قد تلقوا علومهم وثقافاتهم في اليمن بلد الحضارة والمدنية ومهد المدارس اليهودية . وقد يثير اكثر من سؤال موضوع الاخبار التي كانت ترد عن يهود اليمن وكثرة ما يرد عنهم وعن ثقافاتهم وقصصهم على العكس مما كان يروي عن يهود الحجاز ، وهذا على ما يبدو يعود الى كثرة ما كان موجودا من المدارس اليهودية في اليمن عنه في الحجاز ــ وهذه المدارس اليمنية ثابتة تأريخيا ــ فكان من نتيجة

ذلك انتشار الثقافة اليهودية في اليمن بما فيها من شروح للتوراة واساطير ونحو ذلك على نمط اوسع مما كان ليهود الحجاز ، فلما دخل يهود اليمن في الاسلام رووا ما تعلموا فكان لهم اكبر الاثر[1] .

والان لننظر الى لون جديد من القصص الطريف المضحك الذي يدل بوضوح على انحدار القصص الى مستوى غير محترم بعد ان كان يسمو الى غايات نبيلة هدفها خدمة الدين وتوضيح مبادئه واخلاقيته للناس كافة . فقد ورد في كتاب الطبري بخصوص تفسير قوله تعالى :ـ «وعلم آدم الاسماء كلها» . تفسيرات وروايات باطلة من اساسها ومن اظرفها واسخفها قوله : ــ قال : « علمه اسم كل شيء حتى الفسوة والفسية » وفي حديث رواه بعده يرفعه الى ابن عباس ايضا يضاف له : ــ

« وعلمه كل شيء حتى الهنة والهنية ، والفسوة والفسية والضرطة ... »[2] وقس على ذلك من روايات مضحكة لا تمت للقرآن ولا للاسلام ولا للحقيقة في شيء وما هي الا اساطير الاولين . ومما يلاحظ ان بعض الناس يبالغ ويزعم ان الله تعالى علم آدم كل شيء كان ويكون، وعرض صور هذه الاشياء ما كان موجودا وما سيوجد ، وان آدم سمى كل شيء بأسمه . وهذه مبالغة غير مقبولة ، على ان الرأي الذي يمكن الركون اليه : انه سمى الاشياء التي وقع عليها حسه ، ومنها الطيور والبهائم وكل انواع الحيوان الموجودة هناك بالنظر لاحتياجه اليها . ومعلوم ان معرفة آدم لهذه الاشياء في طعامه وشرابه وسائر ما يتلذذ به امر معقول وصحيح . اذ ان الحاجة تفتق الحيلة ، ويشهد لما ذهبت اليه قوله تعالى : « فقال انبئوني بأسماء هؤلاء » والاشارة للمرئي

---

(١) احمد امين ــ فجر الاسلام ، ج١ ص١٩٩

(٢) الطبرى ــ تاريخ الامم والملوك ، ج١ ص٦٥

الحاضر • وتكلف انه صور له ما كان وما يكون ، واشار اليه ، تحميل للآيه ما لا تحتمله [١] •

ومما كان يلجأ اليه القصاص في توضيح بعض القصص التاريخي الذي ورد في القرآن الكريم ، هو ما جاء في اخبار رويت مثلا عن يأجوج ومأجوج ، اذ يجد المرء نفسه امام سيل متدفق من اساطير وحكايات هنا وهناك ، لعب الخيال فيها دوره ، والتهويل والمبالغة كان طابعها دوما •

يذكر البلخي في هذا الموضوع عن الزهري ، رواية بخصوص يأجوج ومأجوج ، فهو يقسمهم الى ثلاث امم : ـ « منسك ، وتأويل ، وتدريس » فصنف منهم مثال الارز والشجر الطوال ، وصنف منهم عرض احدهم وطوله سواء ، وصنف منهم يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى [٢] •

والانكى من ذلك واكثرها غرابة وطرافة ، هو ما رواه البلخي ايضا ان طول احدهم شبر واكثر ، ويكون خروجهم بعد قتل عيسى الدجال ، واذا جاء الوقت جعل الله السد دكا كما يذكر فيخرجون •

وعلى ذكر وهب بن منبه ، الذي يعتبر كما اسلفنا علما من اعلام الرواية والقصة في الاسلام ، نظرا لكثرة ما روى وغرابة ما قص فمما كان يقص الناس به مثلا ما يخص يوم القيامة والبعث ، وكيف ان آدم يقوم بتصنيف البشر ، فاذا كان يوم القيامة وحشروا الخلائق لفصل القضاء قيل لآدم قم وابعث بعثا الى الجنة ، وابعث بعثا الى النار ،

---

(١) النجار ـ قصص الانبياء ، ص ٥ ـ ٦
كذلك : ـ جاد المولى ورفاقه « قصص القرآن » ، ص ٢ ـ ٣

(٢) الكسائي ـ قصص الانبياء ، ج٢ ص ٥٩ ـ ٦٠

فيعرفهم آدم بسيمائهم كما رآهم في الدنيا ، فيصيح صيحة لا يبقى احد في الموقف الا وسمعها فيقبل عليهم ويقول لهم انسيتم عهد ربكم وشهادتكم له بأنه الواحد القهار ، فيقولون انا كنا عن هذا غافلين ، او يقولون انما اشرك آباؤنا من قبل ، يعنون به قابيل لانه اول من عصى ربه وقتل اخاه هابيل ، ثم يصيحون صيحة ويقولون ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلها تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين ، يعنون ابليس وقابيل بن آدم فعند ذلك يقبض آدم بشماله تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد بيمينه الى الجنة ثم يقول آدم : يا رب هل وفيت ما امرت به ، فيقال له : — نعم فأدخل الجنة برحمتي [1] .

واما مسألة اخذ الذرية من آدم فقد اورد الطبري روايه جاءت تفسيرا لقوله تعالى : « واخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » ((انه لما خلق الله عز وجل آدم اخذ ذريته من ظهره مثل الذر فقبض قبضته وقال لاصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين ادخلوا النار ولا ابالي))[2] وكأن الله قد خلق البشر اشرارا واخيارا منذ ان خلقهم ، وكأن الاعمال الصالحة والاخلاق الحميدة والسلوك الحسن في الحياة الدنيا لا تنفع المرء ولا تجديه شيئا لانه اما في الجنة واما في النار وقد وضع له مصيره مسبقا وهذا لا يجوز بل انما هو انتقاص من صفات الباري جل وعلا .

•

ومن الحكايات والروايات العجيبة الغريبة التي وردت في خلق آدم ما رواه وهب بن منبه ، وهو ان الله خلق آدم فرأسه من الارض الاولى وعنقه من الثانية ، وصدره من الثالثة ويداه من الرابعة وبطنه وظهره من الخامسة وعجزه وفخذاه من السادسة وساقاه وقدماه من

---

(١) الكسائي — قصص الانبياء ج٢ ص ٥٩ — ٦٠ .

(٢) الطبري — تاريخ الامم والملوك ، ج١ ص ٩١

السابعة ، وسماه آدم لانه خلقه من اديم الارض[1] •

والرواية ليست بحاجة الى كبير عناء ، وعميق تفكير لانها واضحة بسخف تركيبها وتفاهة محتواها •

ان المامة بسيطة عن وهب بن منبه هذا ، تلقي لنا ضوء كشافا عن حقيقة هذا القاص الذي روى عن النبي والصحابة اخبارا وروايات غاية في الغرابة ، فهو قبل كل شيء يهودي النشأة والنسب كما تذكره كتب التاريخ ــ وسيرد معنا ذلك فيما بعد ــ وانه من يهود الجنوب اسلم على يد النبي ، ولما دخل الاسلام اخذ يروي احاديث وروايات وقصصا ومواعظ شتى في التاريخ والنسب والخليقة وبكل ما يتعلق بأمور الكون • وطبيعي انه قبل كل شيء كان قد تشبع باديء ذي بدء بقصص بني اسرائيل وبالثقافة الاسرائيلية ، ولا بد ان يكون لهذا صدى فيما يروي ويخبر عنه • وهذا ما يستشف من روايته تلك وامثالها والتي يورد فيها امورا لا يمكن ان تستظل من الحقيقة بشيء ولهذا نجد انه كان لثقافته السابقة انعكاس واضح فيما يروي •

هذا ولا بد لنا من ان نستعرض المقالة الممتازة للدكتور محمد احمد خلف الله التي بحث فيها موضوع الوظيفة الفنية للقصة القرآنية[2] • والواقع فأن من الثابت ملاحظة ما مر معنا سابقا من ان القرآن كان قد ادخل بقصصه التاريخية المسوقة للعبرة فنا من الفنون الجديدة في الادب العربي ذلك هو فن القصة • والحقيقة فأن القصص القرآني بصورة عامة له وظائف فنية هامة نجملها فيما يأتي :

---

(١) الكسائي ــ قصص الانبياء ، ج٢ ص ٢٣ ــ ٢٤

(٢) لقد اعتمدنا في مادة هذا الجزء من البحث على المقالة المنشورة فى مجلة القصة المصرية العدد السابع ــ يوليو ١٩٦٤ انظر : ــ **خلف الله** ــ الوظيفة الفنية ص ١٤٣ ــ ١٥٦

١ ــ ان ابرز هذه الوظائف واهمها من وجهة نظر القرآن نفسه تخفيف الضغط العاطفي عن النبي وعن المؤمنين ، ولقد كان هذا الضغط قويا عنيفا ، وكانت اسبابه واضحة • فلقد كانت اقوال المشركين واعمالهم التي يكيدون بها للنبي والقرآن الكريم والدعوة الاسلامية هي السبب في كل هذا الذي دفع النبي الى ان يضيق • ومن ذلك قوله تعالى : ــ

« قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فأنهم لا يكذبون ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » •

ولقد كانت عملية القصص في مثل هذه الظروف من العمليات التي يقصد من ورائها القرآن تثبيت قلب النبي وقلوب المؤمنين ، ورد الثقة الى انفسهم ، وبث الطمأنينة في قلوبهم وازالة الهم والقلق • وكانت النتيجة لكل هذا هي ذلك الصبر الطويل والثبات الذي وصل بهم في النهاية الى النصر على الاعداء والمعارضين • على ان القرآن نفسه قد صرح بهذا الغرض حين قال : ــ

« وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » •

٢ ــ وهناك وظيفة لا تقل اهمية عن سابقتها ، تلك هي عملية توجيه العواطف القوية الصادقة نحو عقائد الدين الاسلامي ومبادئه ونحو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل كل ما هو حق ، وكل ما هو خير وكل ما هو جميل • ومن ذلك ، ومن صميم العمل الفني ايضا العمل على تكوين عواطف قوية وصادقة ضد كل ما هو قبيح ودميم من الاشياء والناس • وعند ذلك تتذبذب المبادىء التي شاخت وهرمت واصبحت لا تسير الحياة والاحياء •

اما الاشياء التي حاول القرآن خلق عواطف ضدها فكثيرة متنوعة

نذكر منها مثلا : ـ تلك التي تتصل بالقيم الخلقية كاللواط وتطفيف المكيال والميزان كما ورد ذلك في قصة شعيب ، ومنها ابليس والشيطان وقصته مع آدم ، ومنها عبادة غير الله كالنجوم والاقمار والاوثان كقصة ابراهيم في سورة الشعراء ، ومنها الكبر والاستكبار والاصرار والعناد ، ولعل ابرع المواقف القصصية التي تصور موقف المستكبرين من قوم هود وقوم صالح ، قال تعالى : ـ

« فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة ، او لم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون. فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى ايام نحسات لنذيقنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون » .

وليس من شك في ان تنيجة العرض القصصي لامثال هذه المواقف يلقي في النفس الخشية والرهبة ، ويبث فيها الخوف عندما تحس ان النتيجة هي العقاب ، وليس من تنيجة للخوف سوى الهرب والابتعاد عن مصدر العقاب ، وعند ذلك تكون النفرة وتكون الكراهية .

القصاص ونظرة المسلمين اليهم

في الواقع ان القصص لم يكن مرغوبا فيه ايام الاسـلام الاولى ، وكان القصاص يحاربون من قبل العلماء • ثم ان هؤلاء القصاص كانوا قد ظهرت منهم طبقة زاولت القصص بمقدار مبالغ فيه ، والذى يغلب في نشاطهم عنصر الخيال ، وقد اقترنت في الواقع كراهية[1] حفيد عمـر لتفسير القرآن بأنه كان لا يحب ان يسـتمع الى قاص الجمـاعة كما سـنرى •

وقد اسرف هؤلاء الناس بطبيعة الحال في تصوير احوال اليـوم الآخر وما استمدوه عن ذلك من مصادر الاخبـار الاجنبيـة ، او مـا اضافوه من ابتداع خيالهم واصدروا ذلك على انه تفسير موثـوق به للقرآن • ولم يكن امامهم سر مستغلق عليهم كما لم يكلفهم عنـاء ولا ترددا ان يصونوا ما ربطوه بالقرآن من صور خيالهم على وجه جديـر بالتصديق بوساطة استنادهم المضلل الى رجال ثقاة معتد بهم ، فمقـاتل مثلا يرجع احيانا في تفسيره الى اسم الضحاك بن مزاحم ، وهو احـد الرواة الثقاة والذى يذكر مقاتل انه اغترف من كنوز علمه الكثيرة بعـد وفاتـه [2] •

والى ابن عباس يرجع مقاتل ايضا في تفسيره للآية (٢) من سورة الملك قوله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة » ، فيقول ان الله خلق الموت والحياة جسمين فجعل الموت على هيئة كبش املح لا يمـر على شيء ، ولا يجد ريحه شيء الا مات • وجعل الحياة على هيئـة فـرس

---

(١) ، (٢) ، (٣) ــ جولد تسيهر ــ مذهب التفسير الاسلامي ص ٧٦ ــ ٧٧

بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها ، خطوها مد البصر ، فوق الحمار ودون البغل ، لا تمر على شيء ولا تطأ شيئا ولا تجد ريحها شيء الا حيي وهي التي أخذ السامرى من ترابها فألقاه على العجل[1] .

ويستمر « جولد تسيهر » في هذا الموضوع متمما القصة :ـ ويذبح الموت في هيئة كبش يوم القيامة بين الجنة والنار ، ويبقى اهل الطاعة بعد ذلك في الجنة ابدا ، والعصاة في النار ابدا ، وذلك هو الخلود (الآية ٢٨ من سورة الحجر) اي الحياة دون الموت لان الموت يذبح في هيئة كبش ، وتنميقا للقصة ذكر ان يحيى بن زكريا هو الذي يتولى عمل الذبح .

وعليه فأن تفسيرا من هذا النوع معتمدا على الاساطير والخرافات امر مردود ولا يمكن قبوله مطلقا . الامر الذي كان نقمة على اولئك القصاص الذين حاربهم علماء الاسلام الذين كانوا يعتبرون القصص بدعة وكانوا يخرجون القصاص من الجامع .

فمن الواضح ان كثيرا من العلماء انحى باللوم على القصاص والوعاظ كما فعل الغزالي في كتابه الاحياء فقد اعتبر عملهم من منكرات المساجد لما كانوا يقترفون من كذب ، واستثنى الحسن البصرى وامثاله[2] ففي معرض كلامه عن المنكرات والمكروهات في المساجد « هو كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة ، فالقاص ان كان يكذب في اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب ، وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه ، اما للكافة الاقدر عليه او لبعض الحاضرين حواليه ،

---

(١) جولد تسيهر ــ مذهب التفسير الاسلامي ص ٧٦ ــ ٧٧
(٢) احمد امين ــ فجر الاسلام ، ج١ ص ١٩٩

فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة ، قال الله تعالى لنبيه :ـ فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره »[١] •

ومما يروى ان ابن عمر[٢] جاء ذات يوم الى مجلسه في المسجد فاذا قصاص يقص فقال له : ـ قم من مجلسي ، فقال له : ـ لا اقوم وقد جلست فيه !! ، وقال : قد سبقتك اليه ، فأرسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فأقامه ، فلو كان ذلك من السنة ، فما حل لابن عمر ان يقيمه من مجلسه سيما وقد سبقه الى الموضع ، وان ابن عمر هذا مشهور بورعه وتقاه •

وعن عائشة ، روي ان قاصا كان يجلس بفناء حجرتها يقص فأرسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذاني بقصصه ، وشغلني عن سبحتي قال : فضربه ابن عمر حتى كسر عصا على ظهره ثم طرده ، وليحذر ان يمر بين يدي المصلي وان كان مروره لا يقطع الصلاة ففي الخبر لان يقف اربعين سنة خير له من ان يمر بين يدي المصلي[٣] •

ومع هذا فأننا نلاحظ بوضوح أن القصص ارتفع شأنها عبر التاريخ العربي الاسلامي حتى رأيناه عملا رسميا يعهد به الى رجال رسميين يعطون عليه اجرا • فنرى في كتاب القضاة للكندي ان كثيرا من القضاة كانوا يعينون قصاصا ايضا ، فيقول : ان اول من قص بمصر هو سليمان بن عتر التجيبي في سنة ٣٨هـ وجمع له القضاء الى القصص ثم عزل عن القضاء وافرد بالقصص[٤] •

---

(١) الغزالي ـ احياء علوم الدين ، ج٢ ص ٣١٤
(٢) المكي ـ قوت القلوب ، ج٢ ص ١٠٢
(٣) المكي ـ قوت القلوب ، ج٢ ص ١٠٢
(٤) احمد امين ـ فجر الاسلام ، ج١ ص ١٩٧

لقد اورد الاستاذ جولد تسيهر روايه طريفة نقلا عن كعب الاحبار، هذا الشخص اليهودي الذى اسلم اخيرا والذى تشبعت عقليته بأفكار اسطورية استقاها من كتب العهد القديم . والذى كان من تأثيرها انه اخذ ينحو هذا المنحى الاسطورى في الرواية . والرواية التي نحن بصددها تتلخص في كيفية تضحية ابراهيم باسحاق واعتراض الشيطان ليصدهما عن طاعة الله ، واخيرا عن فداء الذبيح بكبش هبط من الجنة وتضيف الرواية الى ذلك : « ان الله اوحى الى اسحاق ـ بعد اخفاق الشيطان في مسعاه ـ اني قد اعطيتك دعوة استجيب لك فيها ، قال اسحق ، اللهم أدعوك ان تستجيب لي : ايما عبد لقيك من الاولين والاخرين لا يشرك بك شيئا فأدخله الجنة » . ومن هذا ، الحديث المروي عن النبي (ص) « كلكم يدخل الجنة الا من ابى وهو لم يقل لا اله الا الله »[1] .

أرأيت كيف اورد هذا المخبر ان الله قد جعل الجنة لكل من لا يشرك به شيئا وكفى ، يدخلها دون قيد او شرط ، لا واجبات ولا اعمال خيرة ، وكأن من لا يشرك بالله ويسفك الدماء ويرتكب الآثام ويستبيح الحرمات ويظلم ويجور ويتعنت ويتجبر ويسيء معاملة الغير منزلته عند الله كمنزلة ذلك التقي الورع الطاهر ذي الاخلاق الدمثة الذي يفنى في سبيل مصلحة الآخرين !! وبحسب مضمون الرواية اعلاه فأنهما كلاهما يدخلان الجنة !!! الا يدعو هذا الى السخرية ؟

وقد كان يجتمع في مجلس القصاص والمذكرين والواعظين مئون من عهد الحسن الى وقتنا هذا ـ ما يذكره المكي ـ وقال بعض علمائنا: كان في البصرة مئة وعشرون متكلما في الذكر والوعظ[2] .

---

(1) جولد تسيهر ـ مذهب التفسير الاسلامي ، ص ١٨٠ ـ ١٨١
(2) المكي ـ قوت القلوب ، ج٢ ص ٣٢

وكان القصاص يجلسون على الكراسي ، وكانوا يعظون بعد صلاة الصبح ، او بعد صلاة الجمعة • ويروى انه كان في مسجد البصرة حلقة واحدة للفقه ، على حين كان للقصاص حلقات كثيرة كانت المساجد تغص بها وكان القاص هو الذى يتولى القصص اول الامر ، ثم صار القصاص رجالا ونساء يقصون للعامة القصص الدينية والاساطير والنوادر في المساجد والطرق • وكان يجتمع اليهم الرجال والنساء ، وقد تبذل بعض القصاص فيما كانوا يقصون على الناس كما سنرى فيما بعد ، مما اضطر الخليفة المعتضد ان يصدر اوامره عام (٣٧٩ هـ ــ ٨٩٢ م) بالا يتعد على الطريق ولا في المسجد قاص ولا منجم ولا عراف، وفي عام ٣٨٤هـ ــ ٨٩٨م جدد هذا الامر[١] •

ولقد رسمت لنا المصادر الاسلامية صورة لهذا القصص ، وهو ان يجلس القاص في المسجد وحوله الناس فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات واحاديث وقصصا عن الامم الاخرى واساطير ونحو ذلك بشكل

لا يعتمد فيه على الصدق بقدر ما يعتمد فيها على الترغيب والترهيب

اما بالنسبة لنوع تلك القصص ، وما يتعلق بنظرة جمهور المسلمين اليه فذلك ما روى عن الليث بن سعد قوله : ــ ان القصص قصصان : قصص العامة ، وقصص الخاصة ، فأما قصص العامة فهو الذى يجتمع اليه نفر من الناس يعظهم ويذكرهم فذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه •

واما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية ، فقد ولى رجلا على القصص ، فاذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده وصلى على النبي (ص) ، ودعا للخليفة ولاهل ولايته وحشمه

---

(١) الدورى ومعروف ــ تاريخ الحضارة العربية ، ص ١٤٥

وجنوده ، ودعا على اهل حربه وعلى المشركين كافة[1] •

ومن اطرف ما وردنا بخصوص ما ينبغي ان تكـون عليه هيئـة الواعظ او سلوك القاص اثناء اداء مهمته ، وكذلك فيما يتعلق بحضور النساء مجالس القصص والوعظ ام لا فذلك ما ذكره لنا الامام الغزالي عندما يستعرض المنكرات والمكروهات ، وعلى ذلك فالواعظ مهما كان متزينا للنساء في ثيابه وهيئته ، كثير الاشعار والاشـارات والحركات ، وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر ويجب المنع منه ، فأن الفساد فيـه اكثر من الصلاح ، ويتبين ذلـك منه بقرائن احـواله ، بل لا ينبغي ان يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع ، وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين[2] ، والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضـلال • ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فأن ذلك ايضا مضنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النسـاء من حضـور المساجد للصلوات ومجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن ، فقد منعهتهن عائشة فقيل لها : ان رسول الله ما منعهن من الجماعات ، فقالت : لـو علم رسول الله ما احدثن بعده لمنعهن •• »[3] •

هذا ومما تجدر الاشارة اليه اقصوصة اوردها المكي فيهـا شيء من الطرافة والتنميق ، وقد اوردها تأويلا لقوله تعالى : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » • ومما جاء فيها ان الله اذا جمع الاولـين والاخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع اقصـاهم كما يسمع ادناهم ، يقول : « يا ايها الناس اني قد انصت لكم مذ خلقتكم الى يومكم هذا ، فانصتوا الي اليوم ، فانما هي اعمالكم ترد عليكم • ايها النـاس : اني

(١) احمد امين ـــ فجر الاسلام ، ج١ ص ١٩٦

(٢) قال ابراهيم بن هاني ـــ وكان ماجنا خليعا ، كثير العبث والتمرد ـــ « من تمام آلة القصص ان يكون القاص اعمى ويكون شيخا بعيد مدى الصوت » الجاحظ : البيان والتبيين ، ج١ ص٩٢

(٣) الغزالي ـــ احياء علوم الدين ، ج٢ ص٣١٤

جعلت نسبا وجعلتم نسبا ، فوضعتم نسبي ، ورفعتم نسبكم • قلت ان اشرفكم عند الله اتقاكم ، وأبيتم الا فلان بن فلان اغنى من فلان ، فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي • اين المتقون قال فينصب للقوم لواءهم الى منازلهم فيدخلهم الجنة بغير حساب[1] •

ترى كيف ان صاحب هذا الخبر اراد أن يفسر قوله تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وكان حريا به ان يدلل على ذلك بما اوتي من علم المعرفة والبيان والاقناع وبما ورد من قرائن ودلائل كالذي جاء في القرآن الكريم • الا انه ابى الا ان يلتمس له طريقا اخر يستخدمه في أن يجلب له اسماع الاخرين فاختلق له هذه الاقصوصة التي ما هي من القرآن في شيء •

واسلوب التخويف هذا كان قد اتبعه القصاص كثيرا • وكثيرا ما كان يشمل الانبياء انفسهم ، فقد ورد في الاخبار أن نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين ، فأوحى الله تعالى اليه : اما رضيت ان عصمت قلبك ان تكفر به حتى تسألني الدنيا ، فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال : بلى ، قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر ، فلم يذكر له نعمته عليه بثبوته وعرضه للكفر ، وجوز دخوله بعد النبوة ، فاعترف النبي (ص) بذلك ورضى به واستعصم[2] •

وكان من الامور التي تطرق اليها اولئك القصاص ، امور تحث جمهور المسلمين على الاعراض عن الدنيا والزهد فيها • فتراهم يعطون صفات الى الدنيا يأبى الذوق السليم من ايرادها او تقبلها ، ومما ذكر في هذا المضمار قصة غريبة عجيبة تروي لنا ان بعض المكاشفين شهد ذلك فقال : رأيت الدنيا في صورة جيفة ، ورأيت ابليس في صورة كلب وهو جاثم عليها ومناد ينادي من فوق ، انت كلب من كلابي ، وهذه

---

(١) المكي ــ قوت القلوب ، ج٢ ص١٣٣
(٢) نفس المصدر ، ص١٣٦

جيفة من خلقي وقد جعلتها نصيبك مني فمن نازعك شيئا منها فقد سلطتك عليه ، فجاء في هذا انها مكانه فمن تمكن في شيء منها تسلط العدو بالمكانة منه بقدر ما اصابه منها(١) •

وقد ذكرت في هذا الامر قصص واخبار شتى كلها تنذر من الانجراف في تيار الحياة الدنيا ، والاستسلام لشهواتها وتغريراتها وان من تغرر به الدنيا تكون عقباه النار • من ذلك ما رواه بعضهم عن انس قال : قال رسول الله ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيأمر بهم الى النار قالوا : يا رسول الله مصلين ؟ قال : نعم ، كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل ، فاذا عرض بهم شيء من الدنيا وثبوا عليه(٢) •

وعلى ذكر النار مثلا سئل ابن عباس فيما رووا عن اقسام وانواع النيران ، فاجابهم بقوله : ان النيران اربع : نار تأكل وتشرب وهي ناركم هذه ، ونار لا تأكل ولا تشرب وهي النار في الحجر ، ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر ، ونار تأكل ولا تشرب وهي نار جهنم ، تأكل لحومهم ولا تشرب دماءهم ، فلذلك يبقي ارواحهم فأخبر ان نار جهنم خلاف النيران التي ذكرها بقول الله تعالى : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها » فأخبر سبحانه انه يبدل لهم الجلود لتبقي لهم الارواح لا تأتي عليهم النار فيفنيهم(٣) •

ولو ناقشنا قوله : « يبدل لهم الجلود لتبقى لهم الارواح » هل هذا يعني ان الجلود هي التي تقي الروح من الاخطار او من النار كما هو وارد في الرواية !!! وهل أن النار اذا ما اتت على الجسم لا يكون اول ضحيتها بل اول عضو يتأثر بها هو الجلد ؟ هذا اذا كان مفهوم

---

(١) المكي — قوت القلوب ، ج٢ ص١٦٠

(٢) نفس المصدر ص١٩٨

(٣) البلخي « المقدسى » — البدء والتأريخ ، ج١ ، ص١٩٦

النار بالمفهوم الذي نعرفه نحن اي المفهوم المادي لها ، ولكن اذا ما كان مفهوما معنويا فكيف اذن يقيها الجلد من التأثر بتلك النار التي اذا ما شاء الله ادخالها في جسم المرء احرقته ، وهنا فلا بد ان يكون للآية تفسير اكثر واقعية من هذه الرواية ، واصلب برهانا يؤدي حقيقة قوله تعالى آنف الذكر ، والا فما هو وجه تفسير كهذا !!

ومن الطريف قول احدهم في تفسير قوله تعالى : « ومن يغلل يأتي بما غل يوم القيامة »[1] وما فيها من الموعظة ، انه سئل ابو هريرة عن قوله عز وجل الآنف الذكر ، وكيف يأتي من غل مائة بعير ومائتي شاة ، فقال : رأيت من كان ضرسه مثل الاحد ، وفخذه مثل ورقان وساقه مثل البيضاء ، ومجلسه ما بين المدنية والربذة ، والرواية واضح بطلانها ليست بحاجة الى تحقيق او تعليق .

وبخصوص صفة اهل النار ، ذكر عن الربيع بن انس انه قال : مكتوب في الكتاب ان جلد احدهم اربعون ذراعا ، وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه ، وانه ليبكي حتى يصير في وجهه اخاديد من الدمع لو طرح فيها السفن لجرت ، كذا الرواية والله اعلم[2] .

أرأيت ان الغرض واحد وواضح ، ثم ان اولئك القصاص كانوا لا ينفكون من ان يوردوا في قصصهم الذي كان يجري مجرى الوعظ والنصح والارشاد بعض امور التحذير من مغبة السلوك المعوج ، كتبيان صفة اهل النار كذا مثلا وان صفة اهل الجنة كذا ... الخ ولكن شيء من المبالغة والتهويل . يضاف الى ذلك التشكيك الواضح لدى المؤرخين المسلمين عند نقلهم امثال تلك الروايات ، ويتجلى ذلك بوضوح في عبارة « كذا الرواية والله اعلم » في نهاية الرواية آنفة الذكر .

وقد مر معنا ايضا ان القصص التى رويت كانت معظمها يسند اما

---

(١) البلخي « المقدسي » ــ البدء والتاريخ ، ج١ ، ص ١٩٦ وما بعدها
(٢) نفس المصدر ذات الصفحة

الى النبي (ص) واما عن لسان الرواة الثقاة كما اسلفنا • كثير من اولئك الرواة ما يورد من بين ما يورد قصصا غريبة ونراه يبقيها على علاتها دون ان يعلق عليها شيئا • فالبلخي « المقدسي » مثلا يورد قصـــة غريبة في وصف الملائكة ، والقصة تروى عن ابن اسحاق ، الواقدي[١] يرفعهـــا الى النبي (ص) ان النبي قال : ـ الا احدثكم عن ملك من ملائكة الله اذن لي ربي في الحديث عنه قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ـ ان لله ملكا قد نفد بقدمه الارض السفلى ، ثم خرج من هواء ما بين ذلك حتى از هامته لتحت العرش • والذي نفس محمد بيده ، لو سخرت الطـير فيما بين عنقه الى شحمة اذنه لحففت فيه سبعمائة عام قبل ان يقطعه • وروى ابن جريج عن عكرمة عن ابن عبـاس (رض) قال : ـ ان النبي قال لجبرائيل اني احب ان اراك في صورتك التي تكون عليها في السماء، قال : لا تقوى على ذلك ، قال : بلى ، قال : فأين تحب ان اتخيل لـك، قال : في الابطح ، قال : لا يسعني ، قال : بعرفات قال : ذلك بالحرى، فواعده ذلك ، خرج النبي (ص) للوقت فاذا هو بجبرائيل قد اقبل من جبال عرفات وقد ملأ بين المشرق والمغرب وسد الخافقين ، رأســـه في السماء ورجلاه في الارض وله كذا الف جناح ينتثر منها التهاويل ، فلما رآه النبي خر مغشيا عليه ، فتحول جبرائيل من صورته الى صـــورة دحية الكلبي ، وهو ابن خليفة بن فروة الكلبي ، فضمه الى صـدره ، فلما افاق قال : ما ظننت ان لله تعالى خلقا يشبهك ، قال : يا محمـد فكيف لو رأيت اسرافيل رأسه من تحت العرش ، ورجلاه في تخـوم الارض السابعة ، وان العرش لعلى كاهله ، وانه يتضـاءل احيانا من مخافة الله تعالى حتى يصير كالصعوة وما يحمـل عرش ربـك الا عظمتـه •

(١) البلخي « المقدسى » ـ البدء والتاريخ ، ج١ ص١٧٢ وما بعدها

ولقد ورد من هذا اللون من الحكايات والروايات شيء كثير ، فابن مسعود مثلا يروى عنه قوله : ـ ان لله ملكا البحار كلها في نقرة ابهامه ، وعن كعب الاحبار انه قال : ان لله ملكا السموات على منكبيه يدور بها كما تدور الرحا[1] • وفي رواية اخرى مرفوعة الى ابن عباس : ان النبي (ص) قال : ـ ان لله ملكا له الف رأس في كل رأس الف وجه وفي كل وجه الف فم ، وفي كل فم الف لسان ، يسبح لله ويقدسه كل لسان بألف لغة من التسبيح[2] •

ولم يكتف البلخي « المقدسي » من رواية امثال هذه الاساطير التي لا تنم الا عن ضيق في افق رواتها ، وبعدهم عن الواقع والحقيقة • ولكن نراه يعلق بجملة قد نستدل منها انه كان غير واثق بصحتها حيث قال :ـ « فهذا وما اشبهه موقوف على صحة الخبر وصدق الراوي »[3] •

ومعلوم ان خبرا تكون تفصيلاته كالتي ذكرت آنفا لا يمكن ان يجد له ظلا من الحقيقة مطلقا • ثم ما هذه الخزعبلات والاساطير المملة التي تقول ان لله ملكا له الف رأس ، والف كذا ••• الخ• هل جاء النبي يا ترى ساحرا مشعوذا ، ام انه جاء كاهنا مضللا يلقي بالاساطير على اصحابه ـ وحاشاه من ذلك ـ ام انه جاء هازلا اكروباتيا •• !!

جاء في بعض الاخبار ان الرعد ملك موكل بالسحاب معه كذا من حديد يسوقه من بلد الى بلد كما يسوق الراعي الابل ، كلما خالف سحاب صاح به ، فصوته زجره ، السحاب والبرق مصعه ، والصواعق شراره[4] •

ولا ادري كيف استطاع هذا الراوية ان يفسر مثل هذه الظواهر الطبيعية بمثل هذه الاراء الغريبة •• !! ثم من اي مصدر استقاها ••؟؟

---

(١) البلخي « المقدسي » ـ البدء والتاريخ ، ج١ ، ص١٧٣

(٢) نفس المصدر ، ص١٧٦

(٣) نفس المصدر ذات الصفحة

(٤) نفس المصدر ، ج٢ ، ص٣٣

الشيء الوحيد الذي يتبادر الى الذهن هو ان خياله يبدو كان حادا استطاع ان يفتقه عن مثل هذا الابتكار المضحك والذي بوساطته كان يشوق الناس لسماعه والالتفاف حوله فهذا اسلوب كثيرا ما كان القصاص يستخدمونه للاغراء وليس غير •

ولو اردنا ان تتبع هذا النوع من القصص لوجدنا ينبوعا زاخرا منه ، ولننظر الى رواية طريفة يرويها ابن اسحاق عن النبي (ص) انه قال : ـ ان مما خلق الله ديكا براثنه تحت الارض السابعة ، وعرفه منطو تحت العرش قد احاط جناحاه بالافقين فاذا بقي ثلث الليل الاخير ضرب بجناحيه ثم قال : ـ سبحان ربنا الملك القدوس فيسمعها من بين الخافقين فترون الديكة اذا سمعت ذلك[1] • ومن هذا كثير وكثير حدا وقس على ذلك •

أرأيتِ يا ترى كيف ان الاسلوب الروائي اخذ يسير الى الاسوأ ، ويتبعه المعنى هو الاخر • وهنا تتبين شخصية القاص وما وصلت اليه من تدهور وانحطاط وشرود عن الواقع وتحليق في عالم ملؤه الخيال والاساطير •

يروي لنا الطبري رواية يقول فيها انه حدث ان عمر بن الخطاب بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله (ص) ان اقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب ودار بينهما حديث طويل ، انتهى في ان عمر اخذ يحدث الناس قائلا ما نصه : ـ

« والله اني لعند وثن من اوثان الجاهلية في نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننظر قسمه ليقسم لنا منه اذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط انفذ منه وذلك قبل الاسلام بشهر او سنة يقول : ـ يا آل ذريح ، امر نجيح ، رجل

---

(١) البلخي « المقدسي » ـ البدء والتاريخ ، ج٢ ، ص١١

صيح ، يقول :ـ لا اله الا الله »[1] .

وللتعليق على هذه القصة نود ابراز الامور التالية : ـ

ان الاسلوب الذي ورد فيه حديث عمر بن الخطاب ضمن هـذه الرواية كان مسجوعا ، وهو ما يشك في امر نسبه الى عمر ، حيث لـم يعرف عن عمر انه كان يعني كثيرا بالسجع ثم ان الموضوع الذي رويت فيه هذه القصة يتعلق بظهور النبي (ص) وخروجه كنبي مرسل كريم . ولا اشك في ان الخلفاء الراشدين واخص بالذكر منهم ابا بكر وعمـر وعليا ايضا لم يكونوا يحبذون رواية القصص حتى ولا سماعها . حيث يروى عن الحسن البصري[2] ان احدهم سأله قائلا :ـ اعود مريضـا احب اليك او اجلس الى قاص ؟ فقال : عد مريضك . فقلت : ـ اشيع جنازة احب اليك او اجلس الى قاص ؟ قال شيع جنازتك . قلت : وان استعان بي رجل في حاجة اعينه او اجلس الى قاص ؟ قال : ـ اذهب في حاجتـك .

وجاء في الاخبار ايضا ، ان النبي (ص) كان يفضل مجانس الذكر على مجالس القصص والقصاص . ثم انهم كانوا ـ اي الراشدين ـ يرون ان القصص بدعة ، وطبيعي عملا بمبدأ الاسلام ان كل بدعـة ضلالة ، وكل ضلالة صاحبها في النار لانها حرام .

ثم انه لم يذكر بل ولم يكن متوفرا لدينا مطلقا بأنه كان يقص في زمن الرسول ولا في زمن ابي بكر ولا في زمن عمر حتى ظهرت الفتنة ، فلما وقعت الفتنة ظهر القصاص[3] فكيف بصاحب الرواية وقد نسـبها

---

(١) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ، الطبعة الاوربية ، ج١ ، ص١١٤٤ ـ ص١١٤٥

(٢) المكي ـ قوت القلوب ، ج٢ ، ص٢١

(٣) يظهر ان القصص اتخذ اداة سياسية من عهد الفتنة بين علي ومعاوية يستعين بها كل على ترويـج حزبه والدعوة له ، يـدل على ذلك ما

الى عمر بن الخطاب زورا وبهتانا ، وذلك بدلالة القرائن التي اوردتها قبل قليل والتي هي على النقيض من ادعائه • ثم ان الدلائل التي تظهر لنا محاربة الخلفاء الراشدين للقصاص انه لما دخل علي (رض) البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول[١] : لا يقص في مسجدنا حتى انتهى الى الحسن[٢] وهو يتكلم في هذا العلم فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه • وجاء ابن عمر الى مجلسه من المسجد فوجد قاصا يقص فأخرجه وقصته هذه ذكرناها سابقا[٣] •

ومن القصص التي جاءت على سبيل التوجيه والارشاد ما رواه المكي : ان عثمان بن ابي العاص قال : ــ يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال : ــ ذلك الشيطان يقال له « خنزب »، اذا احسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثا ، قال ففعلت ذلك فأذهبه الله تعالى عني[٤] •

اوردناه عن الليث بن سعد ، وما روي عن ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب : ــ ان عليا (رض) قنت فدعا على قوم من اهل حربه فبلغ ذلك معاوية فأمر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعو لاهل الشام .

انظر : احمد امين ــ فجر الاسلام ، ج١ ، ص١٩٦ ، كذلك ص٢٤ من هذا البحث .

(١) المكي ــ قوت القلوب ، ج٢ ، ص٢١

(٢) يستنتج من هذه الرواية ان الحسن البصرى كان واعظا ورعا تقيا وان وعظه كان لا يقصد من ورائه منفعة شخصية او الهاء الناس واضحاكهم ، بل يظهر انه كان على العكس ، ولهذا لم يخرجه الامام علي من المسجد الجامع ، ولو ان وعظه كان كوعظ بقية القصاص لما انصرف عنه الامام علي ولم يخرجه .

هناك بحث قيم عن حياة الحسن البصرى ومنزلته في : ــ دائرة المعارف الاسلامية ــ مادة الحسن البصرى ــ المجلد السابع ص٣٨١ ــ ص٣٨٢ . انظر كذلك : ــ احمد امين ــ فجر الاسلام ، ج١ ، ص١٩٦

(٣) انظر ص٢١ ــ ٢٢ من هذا البحث

(٤) المكي ــ قوت القلوب ، ج٢ ص١٦٨

نحن لا ننكر العادة الجارية حتى الان ، وهو اذا ما اخطأ امرؤ ، تراه يتعوذ بالله من الشيطان ، ويتململ منه ، الا ان ذلك لا يعني في حقيقته ان شيطانا قد عارضه او اعترضه وافسد عليه عمله او نيته •• والانكى من ذلك تسمية الشياطين حين تذكر القصة ان شيطان ابن ابي العاص كان اسمه « خنزب » ، وهكذا ترى انها عبارة عن تسطير افكار واراء ومسميات بعيدة عن الواقع تماما ، وهي كما ذكرت اكثر من مرة لا بد وان يسبغ عليها صفة شرعية لتقبلها ، ولذا فلا بد من نسبتها الى الرسول الكريم وهو منها براء ، او انها ليست بالشكل والنص الذي وردنا ، بل في الحقيقة ربما كان ابسط من ذلك كأن يكون تعويذا بالله او ما الى ذلك ، ولا تترتب على ذلك اية تفاصيل اخرى كالتي ذكرتها القصة ولكن شاء القصاص والرواة ان ينمقوا الاخبار ويحوروها وهذا الذى نراه بالفعل •

ولقد لاحظنا ان هذا اللون من القصص ينمو ويزداد بسرعة ذلك لانه كما يبدو يتفق وميول العامة ، فاكثر القصاص من الكذب وامعنوا في التنميق والتحوير •

ومن القصص التي جاءت على سبيل الوعظ والعبرة ــ وهي وان كانت كسوابقها من القصص ذات الخيال الرحب ــ الا انها قياسا لسوابقها تعد اكثر تقى وعفة • حيث يذكر المكي رواية عن رابعة العدوية قالت[1] : ــ سبحت ذات ليلة تسبيحات من السحر ثم نمت ،

فرأيت شجرة خضرة نضرة لا توصف عظما وحسنا • اذ عليها ثلاثة انواع من الثمر لا أعرفه من ثمار الدنيا ، كثدي الابكار ، ثمرة بيضاء ، وثمرة حمراء ، وثمرة صفراء ، فهن يلمعن كالاقمار والشموس في خلال خضرة الشجر ، قالت : فاستحسنتها فقلت : ــ لمن هذه فقال لي قائل :ــ هذه

---

(١) المكي ــ قوت القلوب ، ج٢ ، ص١٥٣

لك بتسبيحاتك آنفا . قالت :ـ فجعلت اطوف حولها فاذا تحتها ثمرة منتشرة على الارض في لون الذهب ، فقلت لو كانت هذه التمرة على هذه الثمار على هذه الشجرة لكان احسن ، فقال لي الشخص : ـ قد كانت هناك ، ألا انك حين سبحت تفكرت هل اختمر العجين ام لا ؟ فانتثرت هذه الثمرة فهذه عبرة لاولي الابصار ومواعظ لاهل التقوى والاذكار .

ومن اطرف ما يذكر بخصوص استنكار العلماء والرواة قصص القصاص ومجالسهم ومحاربتهم اياهم ما ذكره المكي حيث قال(١) : قال ضمرة للثوري نستقبل القاص بوجهنا ؟ فقال : ولوا البدع ظهوركم . وقد فعل الاعمش ابلغ من ذلك(٢) :ـ فقد دخل البصرة وكان فيها غريبا ، فنظر الى قاص في الجامع وهو يقول :ـ حدثنا الاعمش عن ابن اسحاق ، وحدثنا الاعمش عن ابي وائل قال : ..... ، فتوسط الاعمش الحلقة ورفع يده وجعل ينتف شعر ابطه ، فبصر به القاص فقال :ـ يا شيخ الا تستحي !! نحن في علم وانت تفعل هذا ؟ فقال له الاعمش : الذي انا فيه افضل من الذي انت فيه ، قال كيف ؟ قال :ـ لاني في سنة وانت في كذب .. انا الاعمش وما حدثتك مما تقول شيئا، فلما سمع الناس ذكر الاعمش انفضوا عن القاص .

وهذا دليل قوي يؤكد صحة ما ذهبنا اليه آنفا في ان القصاص لم يكتفوا بتزوير القصص والروايات والاخبار فقط ، بل تجاوزوا ذلك للرواة المحدثين انفسهم .

ومن التفسيرات والاقاصيص التي حاكها رواة ومفسرو القرآن في الاسلام ما يختص بتفسير قوله تعالى (في سورة الفلق) :ـ

---

(١) المكي ـ قوت القلوب ، ج٢ ، ص٢٣

(٢) نفس المصدر ، ص٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم ــ قل اعوذ برب الفلـق ❋ من شر ما خلق ❋ ومن شر غاسق اذا وقب ❋ ومن شر النفاثات في العقد ❋ ومن شر حاسد اذا حسد .

ذكر المفسرون[1] ان لبيد بن اعصم اليهودي سحر لرســول الله ثم دس ذلك في بئر لبني زريق بينما هو (ص) نائم اذ اتاه ملكان احدهما عند رأسه ، والاخر عند رجليه ، فأخبراه بذلك ، وانه في بئر ذروان في جف طلعة ، تحت راعوفة حجر في اسفل البئر يقوم عليها المائح فأنبتــه رسول الله (ص) وبعث عليا والزبير وعمارا فنزحوا ماء تلك البئر ، ثم رفعوا الصخر واخرجوا ذلك الجف فاذا فيه مشاطة رأس واسنان مــن مشط واذا هو معقد احدى عشر عقدة مغروزة بالابر ، فنزلت هاتــان السورتان وهما المعروفتان بالمعوذتين ، فجعل كلما يقــرأ آية انحلــت عقدة ، حتى انحلت كلها فقام رسول الله (ص) كأنما نشط من عقال ، وجعل جبرائيل يقول : ــ

« بسم الله ارقيك ، من شر كل شيء يؤذيك من حاســد وعــين الله يشفيك » .

اما قصة طوفان نوح ، وما حيكت حول ذلك من حكايات وقصص ومدى تأثر اولئك القصاص بكتب العهد القديم وغيرها ما ســنذكره هنــا : ــ

---

(1) القطيفي ــ قصص القرآن ، ص٢٤١ ــ ٢٤٢
وقد اورد الاستاذ « جولد تسيهر » قصة في تفسير هذه السورة تتضمن معظم ما ورد في النص اعلاه . الا انه يعلق في نهايتها بقوله :ــ « ولئن امكن ان يزيل احد من طريقه ــ اي طريق النبي ــ ايضا هذه القصة المأثورة على انها اسطورة حمقاء ، ان هناك شهادة في القــرآن لم تزل قائمة على وجوب الايمان بالسحر الذي سببته عقد النفاثات » .. انظر : جولد تسيهر : مذهب التفسير الاسلامي ص١٦٣ ــ ١٦٤

في رواية مرفوعة السند الى ابن عباس انه قال[1] :ـ قال الحواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها ، فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه فقال : ـ اتدرون ما هذا ؟ قالوا : ـ الله ورسوله اعلم . هذا هو قبر حام بن نوح ، قال : فضرب الكثيب بعصاه وقال : ـ قم باذن الله ، فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى : ـ هكذا هلكت ؟ قال : ـ لا ولكنني مت وانا شاب ، ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت . قال : ـ كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات : فطبقة منها الدواب والوحش ، وطبقة فيها الانس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر ارواث الدواب ، اوحى الله الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على الفأر بخرز السفينة يقرضه . اوحى الله الى نوح أن اضرب بين عيني الاسد ، فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر فقال له عيسى كيف علم نوح ان البلاد قد غرقت ، قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف ، ولذلك لا يألف ، قال : ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها[2] ، وطين برجليها ، فعلم أن البلاد قد غرقت فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعاها أن تكون في انس وامان . فمن ثم تألف البيوت . قال الحواريون يا رسول الله : الا تنطلق به الى اهلنا ، فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له عد باذن الله ، فعاد ترابا .

---

(١) الطبري ــ تاريخ الامم والملوك ، القاهرة ، ج١ ، ص١٢٤ ـ ١٢٥

(٢) ولقد ورد ذكر ذلك فى الكتاب المقدس فى الفصل الثاني من سفر التكوين ، راجع ذلك .

ويعلق الجاحظ على بعض ما ورد في تلك القصة بقوله[1] :ـ

« وزعم بعض المفسرين وأصحاب الاخبار ان اهل سفينة نوح كانوا قد تأذوا بالفأر فعطس الاسد عطسة فرمى من منخريه زوج سنانير فلذلك السنور اشبه شيء بالاسد . وسلح الفيل زوج خنازير فلذلك الخنزير اشبه شيء بالفيل ـ قال كيسان : فينبغي ان يكون ذلك السنور آدم السنانير وتلك السنورة حواءها ـ » .

« قال ابو عبيدة لكيسان : ـ او لم تعلم ان لكل جنس من الحيوان آدم وحواء ... !! ؟ » وضحك (فضحك) القوم .

هذا مع العلم ان ما اورده الجاحظ كان على سبيل التندر والفكاهة ، وليس على سبيل التوكيد والاثبات ، لان الرواية غير حقيقية من اساسها . فقبل كل شيء : ان اسلوبها الاسطوري المركب الذي صيغت به يؤكد ذلك ، يضاف الى ذلك انها مروية عن مصادر من اهل الكتاب وهم الحواريون ، اولئك الذين لا سبيل لنا من التثبت او الجزم من صحة كل ما يكتبون ويذكرون . زد على هذا وذاك عدم عثوري على نص آخر يثبت صحة هذه الرواية بكل تأكيد .

هذا ويجدر بنا التطرق ولو بشكل عابر الى ان هناك رأي سائد لدى كثير من المؤرخين اليوم وبخاصة علماء الاثار ، ان قصة طوفان نوح آنفة الذكر لا يعتبر ورودها في القرآن الكريم اول ذكر لها في التاريخ ، بل اثبتت التحريات والدراسات الاثارية المضبوطة ان هذه القصة التي انعكس صداها في القرآن الكريم والتي اشار اليها بشكل مقتضب ، لم تكن الا اشارة موجزة لقصة تماثلها وردت بشكل ملحمة مفصلة جاءتنا مدونة بالخط المسماري وبصورة مسهبة في الاداب القديمة واعني به الادب السومري . وقد وردت بأسم « ملحمة

---

(١) الجاحظ ـ الحيوان ، ج١ ، ص٤١٦

جلجامش » (Galgamish Epic)[1] وهذه ــ اذا ما دققنا النظر فيها الفيناها تضارع قصة طوفان نوح في اغلب فصولها ومعانيها .

هذا ولا يفوتنا ان نذكر في هذا الصدد بخصوص ما ورد عن الحمامة وغصن الزيتون التي جاء ذكرها في قصة نوح سابقا ، انه بأمكاننا ان نستنتج ان لهذا الامر ولهذه الاسطورة بالذات علاقة وثيقة بما اتخذته منظمة انصار السلم في العالم شعارا لها وهو الحمامة وهي حاملة غصن الزيتون في منقارها ، دليل السلام والامان في العالم . وبالمناسبة فأن لهذه المنظمة بالنسبة للعراق تاريخ حافل لا يشرف ابدا .

هذا ومما يؤكد ما ذهبت اليه آنفا قوله ــ اي نوح ــ « دعا للحمامة ان تكون في انس وامان ، ومن ثم تألفت البيوت .. الخ » . وهذا دليل العمران والازدهار في ظل السلام والامان والاستقرار .

---

(١) هنالك ترجمة مفصلة لهذه الملحمة منشورة في مجلة سومر : الجزء الثاني ، المجلد السادس سنة ١٩٥٠ ، ص١٤٣ ــ ١٩١

الفصل الثاني

رواد القصص التاريخي والديني

- تميمٌ الداريّ
- وَهَب بن مُنَبِّه
- كعب الأحبار
- يزيد بن ابان الرَّقاشي
- الحسن البصري
- صالح المُرّي

تميم الداري[1]

وهو احد الصحابة ، ويقال ان « الداري » نسبة الى بني الدار ، او عبد الدار كما يقول فلهاوزن ، وهم بطن من لخم ، ويقول النووي في كتابه « تهذيب الاسماء » : ـ ان تسميه تميم هي : الديري ؛ ويقال انها نسبة الى الدير الذي كان راهبا فيه قبل ان يدخل في الاسلام. وكان تميم يعيش في فلسطين بين قبيلته ، وفي رواية انه وفد منها على النبي لما اراد ان يسلم . هذا وان اسلامه هو واخوه وعشرة من عشيرته كان قد حدث بعد خيبر عام ٧هـ. ولكن دائرة المعارف الاسلامية ترجح ان ذلك ــ اي اسلامه ــ حدث بعد غزوة تبوك اي عام ٩هـ[2] وليس عام ٧هـ. اي في العام الذي كانت فيه واقعة تبوك التي ابلغت الجيش الاسلامي تخوم الشام .

واسلم تميم وكان نصرانيا كغالبيه عرب الشام ، فاستطاع ان يخبر عن النبي بتفاصيل العبادات التي استعارها من النصارى ومنها استعمال السراج . حيث يقال انه اول من أسرج السراج في المسجد . وكان يترهب حتى قال عنه ابو نعيم « انه راهب اهل عصره » وهي نزعة

---

(١) راجع البحث القيم المنشور فى دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الخامس « مادة تميم الداري » طبعة القاهرة ــ ص٤٨٠ وما بعدها. كذلك راجع رسالة تقي الدين المقريزي « ضوء الساري لمعرفة خبر تميم الداري » المنشور فى : ــ
The Journal of the Palestine Oriental Society
Vol. XIX, No. 3 — 4, 1941

(٢) الحقيقة ان اسلام تميم كان قد حدث سنة ٩ هـ وكان هذا نصرانيا من نصارى اليمن . راجع : احمد امين ــ فجر الاسلام ، ج١ ، ص١٩٥

نصرانية بقيت عنده في الاسلام[٣] .

وهنا يجدر بنا ان نناقش دائرة المعارف الاسلامية حول هذا الادعاء الذي نسب الى تميم وهو كونه اخبر النبي بتفاصيل العبادات وما شاكلها : من طقوس تعبدية كان قد استعارها من النصارى ، وتدلل دائرة المعارف هذه باستعمال السراج في المسجد والذي كان يستعمله النصارى في الكنائس ولكن يا ترى هل ان استخدام السراج في المسجد يعتبر من الامور التعبدية بالنسبة للاسلام ؟ وهل هو منها في شيء حتى يجيز كاتب المقال لنفسه — دائرة المعارف — ان يدعي مثل ذلك الادعاء، وهو الذي قال في مقدمة البحث ان تميما هذا اسلم في عام ٩هـ ، ومعلوم ان المسلمين خلال هذه المدة قد اصبحوا من القوة الروحية والدينية امرا يلفت النظر ، سيما وان الرسول قد افهمهم كل ما يتعلق بأمور دينهم الجديد من عبادات ومعاملات وما سواهما . وعليه نقول ان مثل هذا امر مردود من اساسه .

يقال ان تميم الداري كان اول من روى القصص الديني ، وقصص قيام الساعة وظهور الدجال والجساسة[٤] التي سيرد القول عنها فيما بعد . وقصص مثل هذه يعتبر فنا من فنون الاداب ، وقد اخبر بها تميم الداري النبي فأخذ بروايته واذاعها بين الناس . ويقال ان تميما شاهد بعينيه هذين المخلوقين العجيبين وتحدث اليهما في جزيرة في آخر العالم ، القت بها اليه عاصفة هبت عليه في رحلة له ببلاد الشام . وقد حبس في هذه الجزيرة الدجال والجساسة انتظارا لليوم الذي يؤذن لها

---

(٣) احمد امين — نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية — مادة تميم الداري

هذا وروى عن ابن شهاب ان : « اول من قص فى مسجد رسول الله (ص) تميم الدارى ، استأذن عمر ان يذكر الناس فأبى عليه ، حتى كان اخر ولايته ، فأذن له ان يذكر الناس فى يوم الجمعة ، فكان تميم يفعل ذلك . » ، فسئل من اول من قص ؟ قال : تميم الداري . راجع احمد امين — فجر الاسلام ، ج١ ، ص١٩٥

فيه بالخروج الى الارض • وتستطرد دائرة المعارف الاسلامية فتقول :ـ وليس من شك في ان اسطورة تميم الدارى هذه نشأت في عهد سحيق لاننا نجدها بجميع تفصيلاتها في اقدم كتب السنة • في مسلم وابي داود والترمذي وابن ماجة ، واحمد بن حنبل • ثم ان شرح هذه القصة قد تعين بعد ذلك عقب وفاة النبي وتغيرت حوادثها • فلم يعد السبب في معرفة تميم خفايا العالم الآخر نتيجة لغرق مركبه •• وانما حمله جني من بيته بليل •• وطاف به بلادا مجهولة يسكنها عجائب المخلوقات على اختلاف انواعها ولقي في هذه الرحلة الغرائب والاهوال • وكان لقاؤه للدجال والجساسة مرحلة من مراحلها ، ثم عاد الى بيته ملك على سحابة ووقعت زوجه في حيرة شديدة فقد ظنت انه مات فتزوجت رجلا غيره ، ورفع الامر الى عمر فناط به عليا فأفتى بأن النبي قد تنبأ كل ما وقع لتميم • وترك للزوجة الخيار بين الرجلين فآثرت تميما •

ومن الجدير ذكره هنا ان هذه القصة رغم بطلانها ومسحتها الاسطورية ، الا اننا نجد كتبا اسلامية ومؤرخين مسلمين مختلفين يوردونها ضمن ما يوردون • ومن هؤلاء الدمشقي الذي ذكرها بقوله: « واما جزيرة الدجال ، فيزعم نقلة الاثار انه بها مسجون ، وقد ورد في الخبر ان تميم الدارى اختطفه الجان ووصل اليه رآه بها وسأله مسائل عن اشراط الساعة وخروجه والقصة مشهورة[٥] •

واما ياقوت الحموي فانه يوردها في نص يختلف عنها في الاسلوب ويطابقها في المعنى تقريبا[٦] : ـ « ولكن لحديث حدثنيه تميم الداري:

---

(٥) الدمشقي ـ نخبة الدهر ، ص١٤٩

(٦) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩٣٤

منعني سرورة القابلة : حدثني ان نفرا من قومه اقبلوا في البحر فأصابهم ريح عاصف فألجأتهم الى جزيرة فأذا هم بدابة قالوا لها : — ما انت ؟ قالت : انا الجساسة ، قلنا اخبرينا الخبر ، قالت : ان اردتم الخبر فعليكم بهذا الدير فأن فيه رجلا بالاشواق اليكم ، قال : فأتيناه ، فقال : ان نبغتم فأخبرناه فقال : ما فعلت بحيرة طبريا ؟ قلنا تدفق بين جوانبها ، قال : ما فعلت نخل عمان وبيسان ؟ قلنا : يجتنيها اهلها ، قال : ما فعلت عين زغر ، قلنا : يشرب منها اهلها ، قال : فلو يبست نفذت من وثاقي فوطيت بقدمي كل منهل الا مكة والمدينة .

على أن البلخي « المقدسي » يورد قصة هي عبارة عن تكملة للقصة آنفة الذكر التي اوردها الحموي ، وقد ورد فيها بأن النبي هو الذي روى هذه القصة نقلا عن تميم الداري وقد جاءت على النحو التالي[٧] : — اخبر سفيان عن مجالد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت : — خرج رسول الله علينا في نحو الظهيرة فخطبنا فقال : — اني لم اجمعكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن لحديث حدثنيه تميم الدارى :— منعني سرورة القابلة ... الخ. القصة آنفة الذكر .

نظرة بسيطة على هذه القصة ترينا مبلغ الصحة في هذه الروايه والذى يصل حد الصفر في اقصاه ، ذلك انه لا يصح ان يخرج النبي على قومه ويجمعهم في وقت الظهيرة ويخطب بهم — حسبما تدعيه الرواية — وكأن الامر خطير !! وكأن الموضوع يعالج امرا قد يكون مهما بالنسبة للنبي وللمسلمين سواء في حياتهم الدينية ام الدنيوية ، الا ان الامر لم

---

(٧) البلخي « المقدسى » — البدء والتاريخ ج٢ ص١٩٢ وما بعدها

يكن كذلك بل من اجل حديث كان قد حدث به النبي تميم الداری ٠٠!! وعلى ذلك يمكننا ان نقول بأن تلك القصة شأنها شأن غيرها مما نقل ونسب تلفيقا وانتحالا عن لسان النبي ورواة الحديث ونقلة الاخبار ٠

ويحسن بنا ان نذكر هنا خبرا اورده المقدسي معتبرا اياه تفسيرا او ايضاحا لقوله تعالى « واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة الارض تكلمهم » فيقول[٨] : ــ قال كثير من اهل الاخبار : انها دابة ذات وبر وريش وزغب ، وفيها من كل لون ، ولها اربع قوائم ، رأسها رأس ثور، واذانها اذان فيل ، وقرنها قرن ايل ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر اسد ، وقوائمها قوائم بعير ، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان ، وترفع الاسماء فلا يعرف احد بأسمه ، وهي تجلو وجه المؤمن بالعصا فيبيض ، ويختم على انف الكافر فيفشو السواد فيه فيقال : يا مؤمن ويا كافر ، ويروي عن عبد الله بن عمر انه قال : ــ هي الدابة الغلباء التي اخبر تميم الداری عنها وليت شعري ارى لو خلقت هذه الدابة كيف تكون بالنسبة للاوصاف التي اوردتها القصة ، بالتأكيد انها ستكون صورة كاريكاتورية مضحكة ٠٠٠ !!!

على ان ما اثر عن تميم الداری فيما يتعلق بقصصه الديني ما روى ان روح بن زنباع زار تميما الداری فوجده ينقي شعيرا لفرسه وحوله اهله ، فقال له روح : ــ اما كان في هؤلاء من يكفيك ؟ قال : بلى ، ولكني سمعت رسول الله يقول : ما من امريء مسلم ينقي لفرسه شعيرا ثم يعلقه عليه الا كتب الله له لكل حبة حسنة[٩] ٠

ان هذه الاقصوصة في الواقع ترينا بوضوح عقلية تميم هذا ونوع قصصه ومنحاه فيما يروي ٠

وكان من اسباب شهرة تميم الداری ايضا واقعة اخرى تختلف عن

---

(٨) البلخي « المقدسى » ــ البدء والتاريخ ، ج٢ ، ص١٩٨

(٩) احمد امين ــ فجر الاسلام ، ج١ ، ص١٩٥

هذه القصة وغيرها اختلافا تاما ، فيقال انه عندما لقي النبي سأله ان يقطعه قطعة وهو وذريته الناحية التي يعيش فيها يحبرون الخليل ، فأجابه النبي الى سؤاله على الرغم من ان فلسطين كانت الى ذلك الحين في يد الروم وعززت هذه العطية بوثيقة ابرزها تميم ابان الفتح العربي لفلسطين ، وهي تحفظ له ولورثته : اخيه نُعَيم « لم تكن لتميم سوى ابنة واحدة » حق امتلاك نواحي حبرون ويقال لها ايضا « حبرى والمرطوم » ، « ويقال لها : مطلون ومرطلون » وترجع دائرة المعارف الاسلامية الاسم الاخير وهو « مرطلون » بالنسبة للفظة اليونانية الاصلية ، وكذلك نواحي بيت عينون وبيت ابراهيم وظلت هذه الضيعة في حوزة اسرة تميم الدارى الى عهد متأخر ، وتذكر دائرة المعارف الاسلامية ، بأن خدام حرم الخليل في الوقت الحاضر يدعون انهم من سلالة تميم الدارى(١٠) •

ولهذه الهبة مغزيان انها شاهد على معجزات النبي ، والثاني انها اقدم اشارة الى منح اقطاع بأسلوب مفرر • ثم تستطرد دائرة المعارف الاسلامية في القول وتقول في موضع آخر : « وليس بنا حاجة الى التدليل على ان هذه الوثيقة منحولة ، فأن ورودها بصيغتين مختلفتين دليل كاف على ان النص محض تلفيق واختراع » •

ان تشكيك صاحب المقال في دائرة المعارف الاسلامية في صحة منح النبي اقطاعيات امر قد يكون مقبولا ، وذلك لان ما سنرى يدلل بوضوح على ما ذهبنا اليه ، وهو كيف يمكن للرسول ان يمنح اقطاعا لصحابي او لاي شخص آخر في بلاد ليس له فيها نفوذ او سيطرة !! زد على هذا، فان النبي والاسلام في هذه الفترة لم ينته بعد من فض مشاكله الداخلية

---

(١٠) راجع المقال المنشور فى دائرة المعارف الاسلامية : « مادة تميم الداري » .

والتي على رأسها تمتين الاسس الروحيـة وتقوية اواصر الاخوة بـين المسلمين اكثر فأكثر ولا سيما في مكة والمدينة وما حولهما • ثم ان النبي لم يكن انسانا خياليا بل العكس هو الصحيح ، اذ انه انسان واقعي بكل ما للواقع من معنى • ولهذا فأمر منحه اقطاعا في بلاد لم تكن مفتـوحة وقتئذ ، او لم تكن تأتمر بأمره بل لا زالت بيد الروم مشكوك فيه •

واذا جئنا من الناحية الثانية وتساءلنا : اذن فما هو موقفنا ممـا ذكرته كبريات الكتب الاسلامية ، وعلية مؤرخي الاسـلام في هـذا الموضوع ، وما اوردته من نصوص اوردنا بعضها هنا ؟ نقول : ان معظم كتب الاسلام اوردت اخبارا وامورا حتى انها لم تكن من الواقـع في شيء ، ثم انها اوردت اخبارا واراء عن بني اسرائيل وغيرهم من اهـل الكتاب ، وعن امور تتعلق بالكون والخليقة فهل يعني اننـا ينبغي الا نمحص ما وردنا من اخبار ، ونستخلص منها الحقائق وعلى ضوء هـذا فلا يعني مطلقا اننا ننكر على مؤرخي الاسلام ورواته الاوائل كأبن سعد والحموى ابي يوسف وغيرهم ذكرهم مثل هذه الروايات ، فأن الفكرة التي تولدت لدينا عن الموضوع ما هي الا نتيجة لدراسة النصـوص المتغايرة التي اوردها اولئك المؤرخون بهذا الخصوص • وعليه فلا مجال للشك في شخصية تميم الدارى كما سنرى ، الا ان الشك كل الشـك يقع في صحة اقطاعه • ولـكن ما ذكره المقريزي(١١) بأن ما وهبه النبي لتميم الدارى من اقطاعيات كان على سبيل النفل شأنه شـأن ما يفعله الامام وان لم تكن قد فتحت تلك البـلاد التي اقطع فيها النبي تميمـا ـ اي الشام ـ وقبل ان يملكها المسلمون • ولكن جعلها له نفـلا من اموال اهل الحرب ، ويورد امثلة يدلل بموجبها امكانية وصحة وجود النفل عند الامام ، وينتهي من القـول في ان عمر بن الخطاب لما فتـح فلسطين امضى ما كان النبي قد نفله ، فقد خرج ابو عبيدة هذه العطية

---

(١١) المقريزي ـ الخطط ، الطبعة الاوربية ، ص٥٠

المعلقة ، فخرج النفل الذي ينفله الامام بعض المقاتلة . ولكننا ازاء هذه الرواية نصر على القول بأن امرا مثل هذا لم يحدث كما اسلفت قياسا الى القرائن التي اشرنا اليها آنفا ، وان اعتراف المقريزي بأن القصة حدثت قبل فتح بلاد الشام خير دليل على ما ذهبت اليه . اما قوله : أن ما فعله الرسول كان على وجه النفل ، فقول مردود حيث ان الرسول لم ينفل مثل هذه الاقطاعيات الخيالية والتي لم تكن تحت تصرف المسلمين. ولو كان ذلك من باب النفل لذكرت كتب التاريخ تعيينا وتصريحا الغاية التي ترجى من تلك الاقطاعيات الا ان الحجج واهية جدا . وانها ذكرت انهم يرون ان النبي كان قد اقطع تميما بحسب ادعاءه ونقلا عنه وهذا لا يمكن تصديقه او التعويل عليه في البحث العلمي الدقيق .

جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد قوله(١٢) : ـ « قالوا وكتب

---

(١٢) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢١ ـ ٢٢

هذا وقد ورد هذا النص في مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص٦٧ بالشكل التالي : ـ « بسم الله الرحمن الرحيم : ـ هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن اوس الداري ، ان له قرية حبرون وبيت عينون قريتهما كلهما ، وسهلهما وجبلهما وماءهما وحرثهما وانباطهما وبقرهما ... الخ النص حيث ينتهي بعبارة وكتب علي » .

وتذكر مجموعة الوثائق بأن هذا النص هو مضمون تجديد الكتاب الذي منحه الرسول الى الداريين لما هاجر (ص) الى المدينة .

اما الكتاب الاول فهو كما يلي : ـ « وفد على الرسول الداريون مرتين : مرة قبل الهجرة ومرة بعد الهجرة . وفي المرة الاولى سألوا رسول الله (ص) ارضا ، فدعا بقطعة من ادم وكتب كتابا نسخته :ـ بسم الله الرحمن الرحيم :ـ هذا كتاب ذكر فيه ما وهب « محمد » رسول الله للداريين ، اذ اعطاه الله الارض ، وهب لهم بيت عينون ، وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم ومن فيهم الى الابد . شهد عباس ابن عبد المطلب ، وخزيمة بن قيس ، وشرحبيل بن حسنة وكتب » .. راجع تفاصيل ذلك في المصدر السابق « مجموعة الوثائق السياسية » ، ص٦٦ .

رسول الله (ص) لنعَيم بن اوس اخي تميم الداري في ان له حبرى وعينون بالشام قريتها كلها سهلها وجبلها وماءها ، وحرثها وانباطها وبقرها ولعقبه من بعده لا يحاقه فيها احد ولا يلجه عليهم بظلم ، ومن ظلمهم واخذ منهم شيئا فأن عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .

أما ابو يوسف فقد اورد هذا الخبر في كتابه « الخراج » كالآتي[١٣] : — اخبرني شيخ من قريش عن الزهري قال : — قال تميم الداري : يا رسول الله ان لي جيرة من الروم بفلسطين ، لهم قرية يقال لها « جيرون »[١٤] ، واخرى يقال لها عينون ، فأن فتح الله عليك الشام فهبهما لي ، فقال : هما لك ، قال : فاكتب لي بذلك كتابا : — قال فكتب له : —

بسم الله الرحمن الرحيم : — هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن اوس الداري ان له قرية جيرون ... الخ القصة ، قال : فلما ولي ابو بكر كتب لهم كتابا نسخته : —

« بسم الله الرحمن الرحيم : — هذا كتاب من أبي بكر امين رسول الله (ص) الذي استخلف في الارض بعده ، كتبه للداريين ان لا يفسد عليهم سبدهم ولبدهم من قرية جيرون وعينون ، فمن كان يسمع ويطيع الله فلا يفسد منهما شيئا وليقم عمودي الناس عليهما وليمنعهما من المفسدين » .

---

(١٣) ابو يوسف — الخراج ، ص٢٥٦ — ٢٥٧

(١٤) لقد ورد في الاغاني ان « جيرون » هذه بناء يقع عند باب دمشق وهو سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها . والمعروف اليوم ان بابا من ابواب الجامع بدمشق وهو باب الشرق يقال له « باب جيرون » ، وقال قوم : جيرون هي دمشق نفسها . راجع الاصفهاني — الاغاني — ج٢ ، ص٥٠ ، وكذلك — ابو يوسف — ص٢٥٦ — الحاشية .

والذي يلاحظ في رواية ابي يوسف هذه انه اولا ذكر ان الهبه تمت لتميم نفسه وليس لنُعَيم أخيه ، كما ذكر ذلك ابن سعد فيما سبق . ثم ان تميما ذكر لرسول الله ان له جيرة في فلسطين من الروم وهو يريد ان يكون قريبا منهم ، ثم انه تنبأ للنبي وتفاءل له في فتح بلاد الشام ، واذا ما تم له ذلك فينبغي على النبي ان يبر بوعده الذى قطعه لتميم هذا باقطاعه هذا . ثم أنه ذكر اسم القرية « جيرون » — بالجيم مع الياء — وليس « حبرون » — بالحاء بعدها باء — ، وليست « حبرى » كما ذكره ابن سعد او غيره كما مر معنا وكما سنرى فيما بعد .

هذا ويزيد الحموى على تلك الرواية قوله[١٥] : — « وقدم على النبي (ص) تميم الدارى في قومه ، وسأله ان يقطعه حبرون ، فأجابه وكتب له كتابا نسخته » : —

« بسم الله الرحمن الرحيم : — هذا ما اعطى رسول الله (ص) لتميم الدارى واصحابه أني اعطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم بذمتهم وجميع ما فيهم فطبقت ونفذت وسلمت ذلك لهم

(١٥) الحموي — معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٩٥ — ١٩٦
لقد اوردت مجموعة الوثائق السياسية نص ذلك بالضبط الا ان « جيرون » وردت بشكل « حبرون » بالباء بعد الحاء ، وليست بالياء بعد الجيم . وهذا الكتاب كتبه ابو بكر للداريين وليس الرسول كما اورد ذلك الحموي وغيره .
راجع ذلك فى :— الحيدر آبادي — الوثائق السياسية ، ص٧٠ .. اما كتاب ابي بكر الى امير العسكر فى الشام فى امر الداريين فهذا نصه :— « بسم الله الرحمن الرحيم :— من ابي بكر الى ابي عبيدة ابن الجراح : سلام عليك فأني احمد اليك الذى لا اله الا هو . اما بعد : فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الاخر من الفساد فى قرى الداريين وان كان اهلها قد جلوا عنها واراد الداريون يزرعونها فليزرعوها . واذا رجع اليها اهلها فهي لهم واحق بهم والسلام عليك . » ، المصدر السابق — ص٧٠ — ٧١

ولاعقابهم بعدهم ابد الابدين فمن آذاهم فيه آذى الله . شهد ابو بكر ابن ابي قحامة ، وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي بن ابي طالب » .

ولو لاحظنا هذه الرواية قياسا لسابقتيها لوجدنا فيها : انه ذكر اسم القرية « حبرون » وليست « جيرون » كما ذكرها ابو يوسف ، ولا « حبرى » كالتي ذكرها ابن سعد ، وكذلك نلاحظ ان هذا هو النص الوحيد الذي وجدنا فيه المرطوم وبيت الخليل كما اوردته دائرة المعارف الاسلامية . والشيء المهم الذى لاحظته انه يذكر اسماء شهود هم الخلفاء الراشدون الاربعة بعكس سابقتيها، وان تسلسل اسماء الخلفاء جاء بحسب تسلسلهم الحقيقي بالنسبة لازمنة حكمهم ، وهذا ما يؤدى الى الشك في امر صحة الوثيقة ويبرهن على انها وضعت وصيغت فيما بعد والا كيف تسنى له ان يسلسل الاسماء بهذا الشكل ، ولماذا لم يذكر مثلا اسم علي بن ابي طالب قبل عثمان ، او عثمان قبل عمر وهكذا !! وهذا بالطبع ما يساعدنا على القول في ان الرواية هذه تكون منتحلة من قبل المتأخرين ومنسوبة الى تميم الدارى .

على ان اهم ما تجب الاشارة اليه في هذا الصدد بخصوص كتاب رسول الله الذي كتبه لتميم الداري واخوته سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه من غزوة تبوك حيث يورد ذلك ابن فضل الله العمرى من انه وجد نسخته في قطعة ادم من خف امير المؤمنين علي وبخطه وهي كما يلي(١٦) :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا ما انطى(١٧) محمد رسول الله لتميم »

---

(١٦) العمري ــ مسالك الابصار ، ج١ ، راجع المقالة القيمة ص١٧٣ ــ ص١٧٦ .

(١٧) اي العطية ، والفعل اعطى ، بلغة اليمن وذلك اشارة الى اقطاع تميم الداري .

« الداري واخوته حبرون والمرطوم »
« وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهن »
« نطية بت بذمتهم ونفذت وسلمت ذلك لهم »
« ولاعقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم »
« لعنه الله شهد عتيق بن ابو قحافة وعمر بن »
« الخطاب وعثمان بن عفان وكتب علي بن »
« بو طالب وشهد »

وقد اورد العمرى ايضا وصفا دقيقا لكتاب الرسـول هذا • فهو يقول : ـ وجد في خرقة سوداء من ملحم قطن وحرير من كم الحسن ابي محمد المستضيء بالله امير المؤمنين وبطانتها من كتان ابيض على تقدير كل اصبع منه ميلان اسودان ، مشقوقان بميل ابيض جعل ضمن اكياس يضمها صندوق من ابنوس يلف في خرقة من حرير ، والكتاب في خرقة من ادم اظنها من ظهر قدم • ومما يذكره العمري في هذا الخصوص ان الكتاب آنف الذكر مكتوب بالخط الكوفي المليح القوى وهذا ما يلفت الانتباه حقا كما سنرى فيما بعد • ويضيف الى ذلك ان المستضيء كتب معه ورقة بنصه شاهدة لهم بمضمونه ، ومزيلة لشـك الشـاك المريب وظنونه • ويؤكد العمرى ذلك كثيرا ويقول انه رأى ذلك كله بعينـه ومن خط المستضيء نقل ، وهو خطـه المألوف ويزيد بأنه يعرف خطـه معرفة لا يشك بها ولا يرتاب •

على ان ما يلاحظ لاول وهلة عند قراءة النص اعلاه ورود عبارة : « ابو قحافة » الف وباء وواو ، ثم « قحافة » ، و « بو طالب » بـاء وواو ثم « طالب » ، وليس في « بو » الف • وعند ذكر اسم « علي » سبقته عبارة « وكتب » بينما اعقب لفظة « بو طالب » عبارة « وشهد » وقد جاء ذلك على ما يبدو بالنسبة لعلي تخصيصا وتعريفا •

ومما يلاحظ في هذه الوثيقة ايضا انها تضارع في كثير من تفاصيلها ان لم يكن في مجموعها ما ورد في الرواية السابقه التي اوردها الحموى بهذا الخصوص ما خلا بعض الاختلاف الذى ورد مثلا فيما يتعلق بحقيقة منح الرسول « تميم واخوته » بينما وردت في سابقتها عبارة « لتميم الدارى واصحابه » ففى هذه نلمس الشمول واضح بينما في تلك الرواية التخصيص اوضح ، وهذا يفضي بنا الى ان « نُعَيم » اخو تميم الدارى قد شمله اقطاع الرسول باعتباره يدخل ضمن عبارة « واخوته » •

وهناك شيء آخر يجب ان نقوله في هذا الموضوع وهو ان الخط الذي كتبت فيه تلك النصوص التي مر ذكرها كان الخط الكوفي زد على ذلك فأنه كان من النوع البدائي ، اي من النوع الذي كان شائع في عصر صدر الاسلام بدون تنقيط ، وحروفه ذات اشكال هندسية كما نحن نعلمه من انواع الخطوط وتدرجها بحسب اطوارها • ولا بد ان بعض حروف تلك النصوص او كلماتها قد انمحت ، وهو بالذات الرأى الذى تعتمد عليه دائرة المعارف الاسلامية ، او ان قراءة النصوص الواردة بهذا الخصوص كانت قراءة ناقصة او غير واضحة ، ولا بد لهذا الارتباك في القراءة من تأثير في صحة الرواية •

على أن ما يلفت الانتباه ـ كما اسلفنا ـ ان رواية العمرى التي اوردناها قبل قليل والتي يؤكد ناقلها انها كتبت بالاصل « بالخط الكوفي المليح القوى » • ان ذلك حقا يثير التساؤل ، فهل يا ترى تلك تعود في الواقع الى زمن الرسول !! واذا كان الامر كذلك فأن ما متوفر لدينا من حقائق عن نوع الخطوط الكتابية التي سادت في العصر الاسلامي الاول ـ كما نوهنا عنه آنفا ـ يتنافى وما ورد في تأكيد العمري على انها كتبت بخط كوفي قوي مليح ، والا فكيف يمكننا التوفيق بين الامرين • الحقيقة ربما ان الامر غير هذا او ذاك بل ربما ان الوثيقة منسوبة الى تميم ولم تدون في زمن الرسول كما تزعم ، وهذا من المحتمل يكون

ارجح الاراء •

ومما تقدم يمكننا ان نقول ان هذه الروايات بخصوص طبيعة وحقيقة الاقطاع الذى منح الى تميم ، وكذلك بخصوص النصوص الواردة في ذلك ، كلها تدعو الى التساؤل : عجبا هل ان كل هذه الامور هي حقيقة واقعة ام لا ؟؟ ثم هل انها تتعلق بشخصية حقيقية ام شخصية اسطورية !! وهل ان تميم الداري(١٨) هذا هو حقيقة صحابي ام لا ؟؟ كل هذه اسئلة واستفهامات تتراقص في مخيلة كل من يتتبع ذلك • الا ان الحقيقة تقول :ـ ان تميما هذا هو شخصية تأريخية حقيقية وليست اسطورية كما ذهبت اليه دائرة المعارف الاسلامية ـ او كادت ـ وذلك بتشكيكها في شخصيته • ثم انه من الطبيعي طالما انه شخص غير مسلم في النشأة والنسب ، بل دخل الاسلام فيما بعد ، لا بد له وان درس كتب العهد القديم دراسة وافية ، وامثال تلك الكتب كما هو معلوم مليء بالاقاصيص والروايات والاخبار المفتعلة والاساطير التي كانت تشوبها منذ عصور سحيقة آراء غريبة كلها عوامل تدعوه هو قبل كل شيء الى ان يذهب في افقه بعيدا بعد ان اضحى راوية ومخبرا في عصر الاسلام • وهكذا بدأ تميم ينحو المنحى الاسطوري كما هو معلوم لدينا •

ثم لا شك في ان شخصية كهذه لا بد وان تنسج حولها خيالات وحكايات شتى يلعب فيها الخيال دورا هاما •

اما بشأن النصوص المتغايرة التي وردت بشأن اقطاعياته فلا شك كما ذكرت انها انتحلت او صيغت فيما بعد ونسبت اليه او هو انتحلها لنفسه وصاغها بحسب رغبته •

---

(١٨) يذكر ابن سعد ان تميما هذا كان قد صحب الرسول وغزا معه وروى محنه ولم يزل بالمدينة حتى تحول الى الشام بعد مقتل عثمان بن عفان ، كان تميم هذا يكنى « ابا رقية » وتؤيد ذلك ايضا دائرة المعارف الاسلامية . راجع : ابن سعد ـ الطبقات ، ج٧ قسم ٢ ، ص١٢٩ ـ ١٣٠

وهب بن منبه(١٩)

وكنيته ابو عبد الله ، وهو من التابعين ، وكان احد قصاص جنوب الجزيرة العربية ، ويعتبر مصدرا هاما من مصادر القصص الاسلامي الذي اعتمد في كثير من اصوله على الاساطير والحكايات التي كانت موجودة لدى اهل الكتاب • وينحدر نسبه الى اصل فارسي • ولد في « ذمار ــ Dhimâr » التي تبعد قرابة مرحلتين من صنعاء وكان ذلك في عام ٣٤ هـ في خلافة عثمان •

وقد مر بنا سابقا ان اليهود نشروا في البلاد التي نزلوها في جزيرة العرب تعاليم التوراة وما جاء فيها من تأريخ خلق الدنيا ومن بعث وحساب وميزان ونشروا تفاسير المفسرين للتوراة وما احاط بها من أساطير وخرافات • وكان لوهب بن منبه واضرابه من اليهود الذين اسلموا فيما بعد نصيبا وافرا في ذلك •

والواقع ان اهم ما تجدر ملاحظته في هذا الخصوص ان العصر الذي عاش فيه وهب ــ واعني به عصر التابعين ــ تميز بتضخم التفسير بالاسرائيليات والنصرانيات ، لكثرة من دخل منهم في الاسلام ، وميل النفوس لسماع التفاصيل عما يشير اليه القرآن من احاديث يهودية ونصرانية • فالمسلمون مثلا نراهم اذا ما سمعوا : « فقلنا اضربوه ببعضها » تساءلوا : ــ وما ذلك الذي ضربوا به ؟ وما قدر سفينة نوح ؟

---

(١٩) هناك بحوث قيمة عن وهب بن منبه انظرها في :ــ
Rosenthal, History of muslim Historiography, Vol. III P. 1084
وكذلك في :ــ الدوري ــ علم التاريخ ، ص١٠٣ ــ ١١٧

وما اسم الغلام الذى قتله العبد الصالح في قصة موسى معه ؟ واذا تلى عليهم « فخذ اربعة من الطير » قالوا :ـ ما انواع هذا الطير ؟ وما هي الكواكب التي رآها يوسف في منامه ؟ كذلك اذا سمعوا اشارة الى بدء الخليقة طلبوا بقية القصة • وكان الذى يسد هذا الطمع هو التوراة وما علق عليها من حواش وشروح ، بل وما ادخل عليها من اساطير وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الاسلام فتسرب منهم الى المسلمين كثير من هذه الاخبار ودخلت في تفسير القرآن يستكملون بها الشرح • ولم يتحرج كبار الصحابة مثل ابن عباس من اخذ قولهم(٢٠) بالرغم مما روى عن النبي قوله :ـ « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » على ان معظم الروايات التي وردت عن بني اسرائيل في كثير من التفاسير كتفسير بن جرير مثلا لو تتبعتها لتلمست بوضوح ان بطل الرواية فيها هو وهب بن منبه • ومما يلاحظ في روايات وهب هذه واقاصيصه بأنها غير دقيقة ، فكان يقص كتب اليهود واحاديثهم من غير تحر دقيق ، او من غير أن تصبغ روايته صبغة علمية •

اما المسلمون فقد تساهلوا في اخذهم عنه كما اشار اليه ابن خلدون لانه لا يترتب على ما يحكى استنباط لحكم شرعي او نحوه(٢١) •

والواقع فأن وهب بن منبه يعتبر ذا دور بارز وبالاخص اذا ما اخذنا

---

(٢٠) احمد امين ـ فجر الاسلام ، ج١ ، ص٣٠ ، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، ص٢٤٧ •

(٢١) نفس المصدر ، ص٢٥٢

انا لو تتبعنا موقف الرواة والمؤرخين من وهب واخباره ، للاحظنا انهم كانوا على قسمين، وكان هو موضع نقد واختلاف . فبينما يوثقه البعض ينتقده اخرون ، وكان وهب من اصحاب الاخبار والقصص . فياقوت يدعوه « الاخباري صاحب القصص » ، وابن خلكان يصفه بـ « صاحب الاخبار والقصص » ، ويؤيدهما الذهبي حين يقول :ـ « كان اخباريا علامة قاصا » . انظر الدورى ـ علم التاريخ ، ص١٠٤

بنظر الاعتبار كونه اول من وضع هيكلا وان كان قصصيا لتاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الاسلام • وقد اخذ عنه او تأثر به من ناحية المادة او الهيكل بعض المؤرخين التالين[٢٢] •

ووهب هذا — من اليمن — كان على جانب عظيم من الثقافة والاطلاع • وله اخبار كثيرة وقصص تتعلق بأخبار الاوائل وقيام الدنيا واحوال الانبياء وقد الف في ترجمة الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم في مجلد واحد كما يقول ابن خلكان ، ويضيف الى ذلك بأنه من الكتب المفيدة[٢٣] • وكان وهب يقول : قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا ، بينما نلاحظه يقول في رواية اخرى بأنه قرأ اثنين وتسعين كتابا وثلاثة وتسعين كتابا[٢٤] كلها انزلت من السماء •• اثنان وسبعون منها انزلت في الكنائس وفي ايدى الناس ، وعشرون لا يعلمها الا القليل • ويزعم انه وجد في كلها :— ان من اضاف الى نفسه شيئا من المشية فقد كفر[٢٥] •

يبدو من ذلك ان وهب هذا كان يدين بفكرة اهل القدر ، فقد ذكر احمد بن منبه عن عبد الرزاق بن ابيه انه حج عامة الفقهاء عام ١٠٠ هجرية ، فحج وهب ، فلما صلوا العشاء اتاه نفر فيهم عطاء والحسن وهم يريدون ان يذاكروه في القدر ، قال : فامعن في باب من الحمد فما زال حتى طلع الفجر فافترقوا ولم يسألوه عن شيء ، قال احمد وكان يتهم بشيء

---

(٢٢) الدورى — علم التاريخ ، ص١١٣

(٢٣) ابن خلكان — وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص٢٦٧ . كذلك : الدورى — علم التاريخ ، ص١١٠ ، حيث يرى الاستاذ الدورى انه من المحتمل كان هذا الكتاب الاساس لكتاب « التيجان فى ملوك حمير واليمن » الذى رواه هشام منسوبا الى وهب عن طريق عبد المنعم بن ادريس.

(٢٤) ان هذا التباين الواسع فى عدد الكتب وفي نسبتها امر يثير الشك ، ويلفت النظر ولهذا فمن الصعب قبوله والتعويل عليه . انظر : الدورى — علم التاريخ ، ص١٠٥

(٢٥) ابن سعد — الطبقات الكبرى — ليدن ، ج٥ ، ص٣٩٥

من القدر ، وقال الجوزاني بأن وهب كان قد كتب كتابا في القدر ثم حدث انه ندم عليه[٢٦] .

والواقع اننا لو تتبعنا روايات وهب واقاصيصه لالفينا سيلا لا حصر له وكلها مليء بروايات اسطورية لا يأتلف معها العقل او المنطق وكثير منها — كما مر معنا — جاء في وصف يوم البعث والحشر وفي الخلق وخلق آدم وغير ذلك من الامور التي تطرق اليها في اساطيره . فمما قاله مثلا في خلق آدم :— ان رأسه من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويداه من الرابعة وبطنه وظهره من الخامسة وعجزه من السادسة وساقاه وقدماه من السابعة وسماه آدم لانه خلقه من اديم الارض[٢٧] .

والرواية لا تحتاج الى كبير عناء في التدقيق والتحقيق لانها خاوية متهافتة على نفسها متفككة في الاسلوب الذى صيغت به .

على ان ما وردنا من اخبار الاولين وحكايات الانبياء شيء كثير ، ومن ذلك ما كان يرويه وهب في اقاصيصه كقوله مثلا : ان بين نوح وابراهيم الفا سنة ومائتا سنة واربعون سنة والذى حاج ابراهيم في ربه هو نمروذ بن كنعان وهو اول من تجبر وقهر وغضب وسن سنن السوء واول من لبس لبوس التاج ووضع أسرار النجوم ونظر فيه وعمل به واهلكه الله ببعوضة دخلت في خياشيمه فعذب بها اربعين سنة ثم مات[٢٨] .

ومن اقاصيصه مثلا التي تبدو عليها المسحة اليهودية والتي تدل

---

(٢٦) ابن خلكان — وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص٢٦٨ . ومع ذلك فترد اشارة الى انه بقي قدريا الى فترة متأخرة من حياته . انظر : الدورى — علم التاريخ ، ص١٠٤

(٢٧) الكسائي — قصص الانبياء — ليدن ، ص٢٣ — ٢٤

(٢٨) ابن قتيبة — المعارف ، ص١٥

بوضوح على الترسب الفكرى الضخم من الثقافات القديمة الذى كان متشبعا به وهب[٢٩] ما رواه :ــ ان اسحاق امر ابنه يعقوب ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين[٣٠] ، وان ينكح من بنات خاله « لابان بن ناهر بن ازر » وكان مسكنه فلسطين فتوجه اليها يعقوب وادركه في بعض الطريق الليل فبات متوسدا حجرا ، فرأى فيما يرى النايم ــ كذا .. !! ــ كان سلما منصوبا الى باب السماء عند رأسه والملايكة ــ كذا ... ! ــ تنزل منه وتعرج فيه واوحى الله اليه اني انا الله لا اله الا انا الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق وقد ورثتك هذه الارض المقدسة وذريتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت فيكم الكتاب والحكمة والنبوة ثم انا معك حتى تدرك هذا المكان فاجعله بيتا تعبدني فيه انت وذريتك فيقال انه بيت المقدس فبناه داود وابنه سليمان ثم اخرجته الجبابرة بعد ذلك فاجتاز به شعيا وقيل عزير فرآه خرابا فقال : انما يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله ماية ــ كذا ــ عام ثم بعثه كما قص عز وجل في كتابه الكريم . ثم بناه ملك من ملوك فارس يقال له كوشك ... وهكذا يستمر في وصف

---

(٢٩) مما يلاحظ من الروايات المنسوبة اليه ان وهب روى قطعا من العهد القديم منقولة بصورة حسنة ومقتبسة فى تفسير الطبري ، وقطعا من المزامير ، وتدل بعض اخباره على معرفة بالتلمود . ويذكر انه روى اسماء سفر التكوين واشخاصه طبقا للنص العبري مع ملاحظة تحريفات الترجمة السريانية . وهناك اشارات تدل على معرفة وهب بالعبرية وربما بالسريانية . فقد ذكر الاستاذ الدورى انه ورد في كتاب « التيجان فى ملوك حمير واليمن ــ ص٢٨ » المنسوب الى وهب الفاظ عبرانية واخرى سريانية امثال :ــ « تقينان » عبراني تفسيره باللسان العربي « مشتري » ، و« مهليل » عبراني تفسيره باللسان العربي « محمود » ، و« مالالي » سرياني تفسيره بالعربية « مسيح الله » . راجع : الدورى ــ علم التاريخ ، ص١٠٥ ــ ١٠٦ كذلك مع حاشية رقم (٣) ، ص١٠٦

(٣٠) انظر القصة مفصلا فى :ــ ابن قتيبة ــ المعارف ، ص١٨

المسجد الاقصى وقبة المعراج ـ قبة الصخرة ـ وقبة داود وما الى ذلك من امــور[٣١] .

لقد مر معنا سابقا ان وهب كان واسع الاطلاع غزير المعرفة ما ترك شاردة ولا واردة الا وقــص فيها . وكان بطبيعة الحــال للاســـــاطير والاقاصيص اليهودية والنصرانية المعين الدافق الذى اســتقى منه وهب كثيرا من اقواله واقاصيصه كما مر معنا ان هناك مؤلفات كثيرة تنسب الى وهب عن فترة ما قبل الاسلام ، ومن تلك كتابه « مبتدأ الخلق » او (المبدأ) او (المبتدأ) ، ويرى روزنتال ان كتاب الاسرائيليات قد يكون نفس كتاب المبتدأ[٣٢] .

وواضح لدينا ان وهب هذا ، لم يكن بامكانه تغيير ما طبعــت به عقليته من ناحية الفكر والثقافة باعتباره يهودى النشأة والثقافة . ولهذا نراه لا يتحرج حتى من الاعتماد على روايات بني اسرائيــل وتثبيتها في كثير من رواياته واقاصيصه . ولهذا يذكر لنا ياقوت الحموى ان وهبــا كان كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالاسرائيليات[٣٣] .

قلنا ان وهب كان يروي في امور كثيرة ومن ذلك ما يتعلق بيــوم القيامة ، فقد ورد في ذلك قوله :ـ انه عندما يكون ذلك اليوم وتحشر الخلائق لفصل القضاء ، قيل لآدم قم وابعث بعثا الى الجنة وابعث بعثــا الى النار فيعرفهم آدم بسيمائهم كما رآهم في الدنيا فيصيح صيحة لا يبقى احد في الموقف الا وسمعها فيقبل عليهم ويقول لهم :ـ انسيتم عهد ربكم

---

(٣١) ياقوت ـ معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٩٣ ـ ٥٩٤

(٣٢) الدوري ـ علم التاريخ ، ص١٠٧ . كذلك :ـ

Rosenthal, History of Muslim Historiography, p. 265 note 2.

Becker — Papyrii, Ip. 8 off.

(٣٣) الدورى ـ علم التاريخ ، ص١٠٥

كذلك : ياقوت الحموي ـ معجم الادباء ، « ن. مرغليوث » ـ ليدن ١٩٠٧ ـ ١٩٢٧ ، ج٧ ، ص٢٣٢

وشهادتكم له بأنه الواحد القهار ، فيقولون انا كنا عن هـذا غافلين او يقولون انما اشرك آباؤنا من قبل يعنون به قابيل لانه اول من عصى ربه وقتل اخاه هابيل • ثم يصيحون صيحة ويقولون :ـ ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلها تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين يعنون ابليس اللعين ـ كذا ـ وقابيل بن آدم ، فعند ذلك يقبض آدم بشماله تسعمائة وتسع وتسعين الى النار وواحد بيمينه الى الجنة ثم يقول آدم : يا رب هل وفيت ما أمرت به فيقال له :ـ نعم فادخل الجنة برحمتي[٣٤] •

عجيب غريب امر هذه الرواية ، كيف تسنى لآدم ان يقبض بشماله (٩٩٩) شخصا وليت شعري اعلم اي قبضة تلك التي تمسك دفعة واحدة ذلك العدد الضخم من البشر ، ثم لماذا هذا الفرق الهائل بين اهل النار واهل الجنة كما هو وارد فيما تزعم الرواية ؟؟ ثم ما هو تأويل ذلك !! اللهم الا تبرير واحد يمكننا الاخذ به اذ ربما كان ذلك كأسلوب للتخويف وحث الناس على عدم ارتكاب ما يأثمون عليه فتكون النار جزاء لهم • وهذا اللون من الاسلوب القصصي مألوف لدينا على سبيل الترغيب والتخويف في كثير من القصص الديني كما هو الحال عند الحسن البصري ويزيد بن ابان الرقاشي ووهب واضرابهم •

هذا ومن حكايات بني اسرائيل وافاصيص الأولين ما رواه وهب بخصوص صالح عليه السلام قال :ـ ان الله عز وجل بعث صالحا الى قومه حين راهق الحلم وكان رجلا احمر الى البياض سِناط الشعر[٣٥] ، وكان يمشي حافيا ولا يتخذ حذاء كما يمشي المسيح ، ولا يتخذ مسكنا ولا بيتا ولا يزال مع ناقة ربه حيث توجهت •• الخ القصة[٣٦] •

---

(٣٤) الكسائي ـ قصص الانبياء ـ ليدن ، ص٥٩ ـ ٦٠ .

(٣٥) **السناط** :ـ الذى لا لحية له ، او كان خفيف العارضين ، فهو وسُنوط وسَنوط .

(٣٦) ابن قتيبة ـ المعارف ، ص١٤

هذا غيض من فيض وقليل من كثير .

أما وفاة وهب فالثابت انه توفي عام ١١٠ هـ بصنعاء في اول خلافة هشام بن عبد الملك[٣٧] . هذا وقد ورد عنه انه كان قد ولي القضاء لعمر ابن عبد العزيز ، ويدعي ياقوت انه مات على قضاء صنعاء وهذا غير ممكن . وقد سجن وهب في الاعوام الاخيرة كما انه جلد ولا نعرف بالتأكيد سبب ذلك ، ويبدو انه حاد المزاج يتعصب ليمانيته[٣٨] .

---

(٣٧) ابن سعد ــ الطبقات الكبرى ــ ليدن ، ج٥ ، ص٣٩٥ . كذلك احمد امين ــ فجر الاسلام ، ج١ ، ص٢٠٦

(٣٨) الدورى ــ علم التاريخ ، ص١٠٤ . كذلك انظر : ياقوت الحموي ــ معجم الادباء ــ « ن. مرغليوث » ــ ليدن ، ١٩٠٧ ــ ١٩٢٧ ، ج٧ ، ص٢٣٢ .

كعب الاحبار

وهو ابو اسحاق كعب بن ماتع بن هيسوع اقدم مؤرخي الاثار والتقاليد اليهودية الاسلامية عند العرب وهو من يهود اليمن[39] • وقد دخل الاسلام اما في خلافة ابي بكر او عمر وكان يسمى بـ « كعب الاحبار » او كعب الخبر[40] • انتقل بعد اسلامه الى المدينة ثم الى الشام وقد اخذ عنه اثنان هما اكبر من نشر علمه : ابن عباس ـ وهذا يعلل ما في تفسيره من اسرائيليات ـ وابو هريرة • ولم يؤثر عنه انه الف كما اثر عن وهب بن منبه ولكن كل تعاليمه ـ على ما وصل الينا ـ كانت شفوية وما نقل عنه يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية واساطيرها • وقد لاحظ بعض الثقاة كابن قتيبة والنووي لا يروى عنه ابدا ، وابن جرير الطبرى يروي عنه قليلا ولكن غيرهم كالثعلبي والكسائي ينقل عنه كثيرا في قصص الانبياء كقصة يوسف والوليد بن الريان واشباه ذلك كما سنرى فيما بعد •

ويروي الطبري ان كعب هذا جاء الى عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة ايام وقال له :ـ اعهد فأنك ميت في ثلاثة ايام • قال : وما يدريك ؟ قال : اجده في كتاب الله عز وجل في التوراة • قال عمر : انك لتجد عمر ابن الخطاب في التوراة ؟ قال : اللهم لا ، ولكن اجد صفتك وحليتك ، وانه فنى اجلك وهذه القصة ان صحت دلت على مكيدة قتل عمر ، ثم

---

(٣٩) يروي العسقلاني انه من آل ذي رعين ، وقيل من ذي الكلاع •
راجع : العسقلاني ـ تهذيب التهذيب ، ص٤٣٨

(٤٠) راجع :ـ
The Encyclopaedia of ISLAM, Vol. II,
London, 1927
P. 582

وضعها في هذه الصيغة الاسرائيلية كما تدلنا على مقدار اختلاقه فيما ينقل •

وعلى الجملة فقد دخل على المسلمين من هؤلاء وامثالهم في عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم اثر غير صالح[٤١] • والواقع يعتبر كعب هذا اكبر من تسربت منهم اخبار اليهود الى المسلمين وكان ذلك عند دخول امثال هؤلاء الى الاسلام فزادت المنقولات وتواترت الروايات والاقاصيص وبقى معظمهم على ما كان لديهم مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم وامثال ذلك ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في امثال هذه الأغراض اخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى الاحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل وتساهل المفسرون في ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات[٤٢] •

على ان اهم ما يمكن ملاحظته في القصص التي وردت عن كعب الاحبار انها جملة وتفصيلا ذات اغراض دينية يحث فيها جمهور المسلمين بشكل او بآخر على القيام ببعض الامور ذات الصبغة الدينية بأسلوب كله تشويق وتحبيب وترغيب • ومن اقواله مثلا :ـ من زار البيت المقدس شوقا أليه دخل الجنة ، ومن صلى فيه ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه واعطي قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا ومن تصدق فيه بدرهم كان فداءه من النار • ومن صام فيه يوما واحدا كتبت له براءته من النار[٤٣] •

وكعب يريد من روايته تلك ان يحبب الى الناس ويشوقهم الى زيارة بيت المقدس فتراه يسلك من اجل ذلك اسلوبا ترغيبيا جميلا ، على انه مثلا يروي لنا في رواية اخرى قصة بناء بيت المقدس وكيف تم ذلك ؛

---

(٤١) احمد امين ـ فجر الاسلام ، ج١ ، ص١٩٩
(٤٢) المصدر ذاته نفس الصفحة
(٤٣) الحموى ـ معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٩٢

والرواية بحد ذاتها تدل بوضوح على ترسبات ثقافته الاسرائيلية وقولبة عقله ضمن اطار تلك الثقافة واليك هذه القصة :ــ

قال كعب :ــ اوصى الله تعالى الى داود ابن لي بيتا ، قال يا رب : واين من الارض ، قال : حيث ترى الملك شاهرا سيفه فرأى داود ملكا على الصخرة واقفا وبيده سيف[٤٤] •

على ان اخبار بيت المقدس ومناقبها والاقاصيص التي ترد بهذا الخصوص نجد ان روايات كعب زاخرة بذلك • ومما قصه في هذا الصدد قوله :ــ ان معقل المؤمنين ايام الدجال البيت المقدس يحاصرهم فيه حتى يأكلوا اوتار قسيّهم من الجوع فبينما هم كذلك اذا سمعوا صوتا من الصخرة فيقولون هذا صوت رجل شبعان فينظرون فاذا عيسى بن مريم ، فاذا رآه الدجال هرب منه فيتلقاه بباب لِد فيقتله[٤٥] •

نظرة واحدة على تلك الاقصوصة نلاحظ بوضوح الصيغة الاسرائيلية التي وردت فيها بشكل جلي ، زد على ذلك الاخيلة الاسطورية والاسلوب الذى اعتدناه والفناه في روايات واقاصيص الكتاب المقدس ، ولا مندوحة من ذلك فكعب الاحبار قاص مجيد وراوية واسع الاطلاع ذو ثقافة ومعرفة عميقتين في كتب العهد القديم واخبار بني اسرائيل •

هذا ومما يجدر تثبيته هنا ان كعب هذا كان قد روى وقص اخبارا وحكايات شتى في امور الخليقة والكون وخلق الارض والجبال والبحار[٤٦] • وما الى ذلك من امور بث فيها كثيرا من اخبار التوراة وبني

---

(٤٤) الحموي ــ معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥٩٢
(٤٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة
(٤٦) راجع القصص والروايات التي وردت بهذا الخصوص في :ــ
الكسائي ــ قصص الانبياء ، ص٨ ــ ٩

اسرائيل فجاءت ذات طابع اسطوري الفناه في اسلوبه القصصي واسلوب اضرابه من اليهود الذين دخلوا الاسلام امثال وهب بن منبه وعبدالله بن سلام وغيرهم .

اما وفاة كعب فقد قلنا سابقا انه لما اسلم خرج من المدينة الى الشام فسكن في حمص حتى توفي بها سنة ٣٢ ه في خلافة عثمان وفيها ارخه غير واحد وقد بلغ من العمر مائة واربعة سنين[٤٧] .

---

(٤٧) العسقلاني ــ تهذيب التهذيب ، ص٤٣٩

يزيد بن إبان الرقاشي

وهو فارسي الأصل ونظرا لكونه كذلك نجده قد ورث القصص الذي اشتهر به • وهو قاص مبدع مجيد ، كما كان الفضل وعبد الصمد الرقاشيان(٤٨) • ويرى الجاحظ ان الفن القصصي هذا ما نشأ الا حيث كان امثال يزيد بن ابان الرقاشي هذا(٤٩) ، وهو كما اسلفنا من ابناء الفرس وورثة الروح الفارسية فكانت مجالسهم الدينية تتشقق عن اخبار الامم الماضية وكان تأويلهم للقرآن يزخر بالاقاصيص المختلفة .

---

(٤٨) وهو الفضل بن عيسى الرقاشي ، كان سجاعا فى قصصه ، وكان عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وابان بن ابي عياش يأتون مجلسه، قال له داود بن ابي هند :ـ لولا انك تفسر القرآن برأيك لاتيناك فى مجلسك !! قال : فهل تراني احرم حلالا واحل حراما ... !! وانما كان يتلو الاية التي فيها ذكر النار والجنة والحشر والموت واشباه ذلك . وقد كان عبدالصمد بن الفضل وابو العباس القاسم بن يحيى وعامة قصاص البصرة ، وهم اخطب من الخطباء يجلس اليهم عامة الفقهاء وكان يقول فى قصصه :ـ سل الارض فقل : من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك ؟ فان لم تجب حوارا اجابتك اعتبارا. انظر : الجاحظ ـ البيان والتبيين ، ج١ ، ص٢٣٦ ، ص٢٤٧ . اما عبد الصمد الرقاشي فكان هذا هو الاخر سجاعا فى قصصه وخطبه قال سئل ذات يوم : لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافى واقامة الوزن ؟ قال : ان كلامي لو كنت لا آمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلافى عليك ولكني اريد الغائب والحاضر والراهن والغابر ، فالحفظ اليه اسرع والاذان لسماعه انشط وهو احق بالتقييد وبقلة التفلت . وما تكلمت به العرب من جيد المنثور اكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من جيد المنشور عشره ولا ضاع من الموزون عشره . **المصدر السابق ، ص٢٣٤**

(٤٩) لقد اعتمدنا فى بحثنا عن يزيد الرقاشي على ما جاء فى : الجاحظ ـ البخلاء ، ص٢٤٥ ـ ٢٤٦

وكان يزيد ــ فيما يظهر ــ من اوائل الذين ادخلوا هذا النمط من الوعظ ، وهذه الوسيلة الى تقوية العاطفة الدينية • فهو بحق يعتبر من الرواد الافذاذ في مضمار القصص الديني ، وكانت تحدوه في قصصه رغبته في خدمة الدين الحنيف ، وترسيخ وتعميق مفاهيمه لدى جمهور المسلمين • اما الناس فكانوا يختلفون في تقديره • فقد كان هنالك الى جانب المعجبين به ، من كان يرى في اسلوبه هذا تكلفا وتلفيقا ، فكان يستثقل حديثه ، ويبغض مجلسه ، ويتحدث بن ابي امية عنه فيقول :ــ

شهدت الرقاشي في مجلس
وكان الي بغيضا مقيتا

فقال : اقترح كل ما تشتهي
فقلت : اقترحت عليك السكوتا

وكان المحدثون يعرضون عنه ويتهمونه • ذلك ان طبيعة القصص والرغبة في التأثير والقصد اليه لم تكن تنفق كثيرا مع التزمت في الرواية ، فكانت تعدو به في كثير من الاحيان عن الدقة وتجري الصحة وبذلك كثرت في رواية الحديث مآخذه كما كثر الطعن عليه • فكان شعبة يقول :ــ « لأن اقطع الطريق احب الي من ان اروي عن يزيد » ، ويقول مرة اخرى : « لأن ازني احب الي من ان احدث عن يزيد الرقاشي » ، ويقول بن حيان :ــ « غفل عن حفظ الحديث شغلا بالعبادة » •

وقد كان يزيد الرقاشي رقيق العاطفة حاد الشعور كما يؤخذ من اخباره وكلماته ، وقد مات في العشرة الثانية من القرن الثاني كما نقل صاحب تهذيب التهذيب عن البخاري •

الحسن البصري

وهو ابن ابي الحسن البصري . شخصية بارزة من شخصيات القرن الاول الهجرى . سبي ابوه ابان الفتوحات الاسلامية وحمل من ميسان الى المدينة ، وغدا فيها مولى لزيد بن ثابت الشهير وتزوج من أمة لأم سلمة تدعى « خيرة » فأنجبا الحسن عام ٢١ هـ — ٦٤٢ م وشب الحسن في وادي القرى ، ثم استقر في البصرة واشتهر فيها بمتانة خلقه وتقواه وعلمه وفصاحته . وكان يعتبر ندا لمعاصره الحجاج في الخطابة وراوية ثبتا للحديث ، فقد عرف عنه انه كان متصلا بسبعين رجل ممن شهدوا وقعة بدر ، وان كان عمدته في رواية الحديث هو انس بن مالك[٥٠] .

والحسن البصري قاص مجيد امتاز بورعه وتقواه ، وبسعة مداركه وعلو كعبه في امور الدين والفقه ، وقد مر معنا سابقا عند الحديث عن موقف المسلمين من القصاص كيف ان الخلفاء وائمة المسلمين وقفوا موقفا صلبا تجاه القصاص فمنعوا جمهور المسلمين من الجلوس اليهم والاستماع الى احاديثهم . وكيف ان الامام علي لما دخل مسجد البصرة اخذ يخرج القصاص منه واحدا تلو الاخر حتى انتهى الى الحسن البصري فتركه يحدث الناس ولم يخرجه تعبيرا عن تقديره لشخص الحسن البصري ولعلمه وتقاه .

والحق فأن الحسن البصرى كان قاصا من نوع آخر ، لو نظرناه قياسا لما مر معنا من امثال وهب بن منبه وكعب الاحبار واضرابهما ، فهو لم يكن ينحو منحى الذين يعتمدون على الاسرائيليات والنصرانيات .

---

(٥٠) دائرة المعارف الاسلامية ـ باللغة العربية ـ مصر ، م٧ ، ص٣٨١ « مادة الحسن البصري » .

انما كان يعتمد على التذكير بالآخرة ونحوها ، ويستخرج العظة مما يقع حوله من حوادث ، فقد كان يجلس في آخر المسجد بالبصرة وحوله الناس يسألونه في الفقه وفي حوادث الفتن التي كانت في عهده ويحدثهم بما صح عنده من حديث • ويقص عليهم فيعظهم ويذكرهم •

ومما أثر من قصصه : « يا ابن آدم لا ترض احدا بسخط الله ، ولا تطيعن احدا في معصية الله ، ولا تحمدن احدا على فضل الله ، ولا تلومن احدا فيما لم يؤتك الله ، أن الله خلق الخلق فمضوا على ما خلقهم عليه • فما كان يظن انه مزداد بحرصه في رزقه فليزدد بحرصه في عمره ، او يغير لونه او يزد في اركانه او بنانه » •

وكقوله : « يا ابن آدم لم تكن فكونت ، وسألت فاعطيت ، وسئلت فمنعت ، فبئس ما صنعت !! » ثم يكرر ذلك مرارا • وله اقوال كثيرة من هذا النحو مبثوثة في كتب الادب[٥١] •

والواقع فنظرة خاطفة على اقواله تلك مثلا ترينا الاسلوب الذى استعمله في احاديثه وهو غالب ما كان يمتاز بالنصح والارشاد وتقريب بعض الامور الدينية الى عقول محدثيه ونفوسهم • واسلوبه على ما يظهر لنا في اقواله تلك يمتاز بالاضافة لما اسلفنا بالتذكير في عمل الخير والتحذير من عواقب الامور •

---

(٥١) احمد امين ــ فجر الاسلام ، ج١ ، ص١٩٩

صالح المري

وهو من رواد القصص الديني الاجلاء • وكان يكنى « ابا بشر » وهو مولى مرة بن عبد القيس • وقد كان من اهل الخير والصلاح وكان يرى رأي اهل القدر[٥٢] • وكان عابدا بليغا ، وقاصا مجيدا ، وكثيرا ما كان ينشد في قصصه وفي مواعظه هذا البيت :ـ

فبات يُرَوّي اصول الغسيل
فعاش الغسيل ومات الرجل

وكان صحيح الكلام رقيق المجلس ، عذب الموعظة ، ذا اسلوب طلق مستطاب ، ومن اقواله :ـ

« سوء الاستماع نفاق • وقد لا يفهم المستمع الا بالتفهم ، وقد يفهم ايضا من لا يفهم »[٥٣] •

وكان يسلك في كلامه اسلوب الوعظ والنصح والارشاد وتوجيه جمهور المسلمين وجهة الخير والعمل الصالح ، وتحذيرهم بضرورة تجنب عمل الشر وما يترتب على ذلك ـ في حالة العكس ـ من عواقب وخيمة• كما لنظرته الدينية ولثقافته هذه اثرا واضحا في قولبة افكاره ومن ذلك كان صالح المري كثيرا ما يردد في مجلسه قوله :ـ اعوذ بك من الخسف والمسخ والرجفة والزلزلة والصاعقة والريح المهلكة واعوذ بك من جهد البلاء ومن شماتة الاعداء • وكان يقول :ـ اعوذ بك من التعب والتعذر والخيبة وسوء المنقلب • اللهم من ارادني بخير فيسر لي خيره ،

---

(٥٢) الجاحظ ـ البيان والتبين ، ج١ ، ص١٠٦
(٥٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣١

ومن ارادني بشر فاكفني شره ، اللهم اسألك خصب الرحل وصلاح الاهل[٥٤] .

من هذا الاسلوب الواضح والدعاء الهادىء نستطيع ان نستقرىء نفسية صاحبنا البسيطة الزاهدة المتعبدة ، ولا غرو اذا ما انعكس ذلك في كل ما يروي وما يقص .

هذا ولو تقصينا اخبار وقصص صالح المري وامثاله لوجدنا امامنا حشدا من هؤلاء الذين آلت الينا رواياتهم واقاصيصهم ولا سيما اولئك المتعبدين الزاهدين امثال ابي حازم الاعرج « المتوفي عام ١٤١ هـ » ، وقد كان هذا صالحا ورعا وزاهدا امتازت قصصه بصبغتها الدينية ودعوته لعمل الخير وتجنب كل ما هو شر ومن امثاله كثيرون .

---

(٥٤) نفس المصدر ، ج٣ ، ص١٧٧

الباب الثاني

قصص الظرافـــة والفكاهة

نظرة عامة

يظهر للمتتبع الدارس للقصص والقصاص في الاسلام ما آلت اليه القصة والقصاص وما حصل عليها من تطور ملموس ، سواء كان ذلك في الاسلوب او في الغرض . فبعد ان كانت تعنى بأمور الدين والخليقة وما الى ذلك ، اضحت الان تميل الى الظرافة والفكاهة . وبعد ان كانت ذات اتجاهات سامية أخذت تميل الى الهزل والفكاهة ، وغدت هذه الصناعة في غاية من السخف بعد انّ كانت تنزع الى غاية من اكرم الغايات مذ ان بدأت بمثل يزيد بن ابان الرقاشي(١) .

وهكذا اخذت طائفة من القصاص ، وهم قصاص الجماهير ، او قصاص العامة الذين استفحل امرهم بتأثيرهم على الناس اذ تدهوروا ولم يعنوا بالقرآن او الحديث ، بل صار قصدهم اضحاك الناس وجلب رضاهم ليحصلوا على مالهم وذلك برواية القصص الغريبة والاسمار المضحكة والخزعبلات المختلفة .

---

(١) ويزيد بن ابان الرقاشى هذا فارسى الدم عريق فى فارسيته — وقد سبق الكلام عنه آنفا — ويعتقد الجاحظ ان لجنسيته هذه اثر فى حياته ، وابرز ما يظهر فيه هذا الاثر هو القصص الديني الذي عرف به . فقد كان قاصا مجيدا وما نحن نحسب ان هذا الفن نشأ الا حيث كان امثال يزيد الرقاشي هذا . وكان كما اسلفت من ابناء الفرس وورث الروح الفارسية ، حيث كانت مجالسهم تتشقق عن اخبار الامم الماضية وكان تأويلهم للقرآن يزخر بالاقاصيص المختلفة . وكان يزيد فيما يظهر من اوائل الذين ادخلوا هذا النمط من الوعظ . وهذه هي الوسيلة الى تقوية العاطفة الدينية . انظر كذلك : الجاحظ — البخلاء ، ص٢٦٦ وما بعدها .

وقد اختلقوا الاحاديث والروايات واوردوها في اســاليب غريبة متباينة ليستهووا بها الناس . ومن طريف ما يروى[٢] :ــ ان احدهم قام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال :ــ روى لنا غير واحد انه من بلغ لسانه ارنبة انفه لم يدخل النار . فما بقي احد الا واخــرج لسانه يومي به ارنبة انفه .

وسنأتي فيما بعد على بعض هؤلاء القصاص الظرفاء .

---

(٢) الدوري ومعروف ــ تاريخ الحضارة العربية ، ص٢١١

بعض رواد قصص الفكاهة

- ابو كعب الصوفي
- عبد الاعلى القاص

ابو كعب الصوفي

وابو كعب هذا يمثل الطور الذى نحن بصدده من القصص والقصاص ، وذلك حين صار هذا الفن صناعة من الصناعات الدنيا التي يلتمس بها العيش وصار القصاص من طبقة السؤال والمستجدين يمدون اعناقهم للجمعة انتظارا للصلة والعائدة ــ كما يصفهم الجاحظ[1] :ــ واصبحوا يسلكون مع القرادين ومن اليهم في نظام واحد كالذى نجده فيما يرويه الجاحظ عن ابراهيم الموصلي في حديثه عن زلزل المغني انه كان يكايده مكايدة القصاص والقرادين[2] .

ولقد كان لهم في سبيلهم هذه اشياء يتندر الناس بها ويتضاحكون منها كما كانوا يتخذون العبث واضحاك الناس ــ كما اسلفنا ــ سببا من اسبابهم ووسيلة يروجون بها لانفسهم ، ومن هذه الطبقة من القصاص هو ابو كعب الصوفي هذا ، وقد كان هو نفسه يحفظ نوادر هؤلاء القصاص ويتندر بها ويضحك منها .

وفيما يلي شيء من نوادره واقاصيصه الطريفة :ــ

قال ابو كعب[3] :ــ كان رجل يجري على رجل رغيفا في كل يوم فكان اذا اتاه الرغيف يقول :ــ لعنك الله ، ولعن من بعثك ، ولعنني ان تركتك حتى اصيب خيرا منك .

---

(١) الجاحظ ــ البخلاء ، ص٢٦٧

(٢) **القرادون :** جمع مفردها « **قراد** » وهو سائس القرد

(٣) الجاحظ ــ البيان والتبيين ، ج٣ ، ص٢٥٠ ــ ٢٥١

ومن نوادره قوله[٤] :ـ كنا عند عياش بن القاسم ، ومعنا سيفويه القاص ، فأتينا بفالوذجة حارة ، فابتلع سيفويه منهــا لقمة فغشي عليه من شدة حرها فلما افاق قال :ـ مات لي ثلاثة بنين ما دخل جوفي عليهم مـــن الحرقة ، ما دخل جوفي من حرقة هذه اللقمة •

ولكنني لا اعدو الحقيقة اذا قلت : ان ابا كعب هذا كانت له مـــن القدرة على صوغ الحيل القصصية الظريفة ما لم تتوفر لدى غيره مـــن القصاص • واليك احدى هذه الحيل المضحكة التي تبين المــدى الذى وصلت اليه القصة من التدهور والشكل الذى آلت اليه في عهده • زد على ذلك شخصية القاص نفسه ومنزلته من العلماء ومدى مضايقته لهم كما يظهر ذلك من السأم والملل الذي أدخله على نفس الامام وكيـــف تدارك ذلك بظرفه كما في القصة التالية : ـ

قال[٥] : وتعشى ابو كعب القاص بطفشيل[٦] كثير اللوبياء واكثر منه ، وشرب نبيذ تمر ، وغلّس[٧] الى بعض المساجد ليقص على اهله اذ انفتل[٨] الامام عن الصلاة فصادف زحاما كثيرا ، ومسجدا مستورا بالبوارى من البرد والريح والمطر ، واذا محراب غائر في الحائط ، واذا الامام شيخ ضعيف ، فلما صلى استدبر المحراب ، وجلس في زاويـــة

---

(٤) نفس المصدر ، ج٢ ، ص١٨٨

(٥) الجاحظ ـ الحيوان ، ج٢ ، ص٢٤

(٦) ولدى مراجعة هذه الكلمة فى القاموس وجدتها كما يلي :ـ
« الطَفَيْشَلُ » بالمعجمة كَسَمَيْدَعُ نوع من المرق . ويبـــدو ان الكلمة الواردة فى القصة اعلاه قد رافقها شيء من الخطأ وربما كان ذلك فى الطبع . راجع : القاموس المحيط ـ فصل الطاء باب اللام مـــادة « الطفل » .

(٧) غلّسَ ـ اي ذهب في آخر الليل .

(٨) انفتل ـ اي انصرف وانتهى .

منه يسبح وقام ابو كعب فجعل ظهره الى وجه الامام ، ووجهه الى وجوه القوم ، وطبق وجه المحراب بجسمه وفروته وعمامته وكسائه . ولم يكن بين فتحته وبين انف الامام كبير شيء . وقص وتحرك بطنه ، فأراد ان يتفرج بفسوة ، وخاف ان تصير ضراطا . فقال في قصصه :ـ قولوا جميعا : لا اله الا الله ! ارفعوا بها اصواتكم ، وفسا فسوة في المحراب ، فدارت فيه وجثمت على انف الشيخ ، واحتملها ، ثم حركته بطنه فاحتاج الى اخرى فقال :ـ قولوا : لا اله الا الله !! وارفعوا بها اصواتكم ، فأرسل فسوة اخرى فلم تخطيء أنف الشيخ ، واختنقت في المحراب ، فخمر الشيخ انفه ، فصار لا يدرى ما يصنع : ان هو تنفس قتلته الرائحة ، وان هو لم يتنفس مات كربا ، فما زال يدارى ذلك وابو كعب يقص ، فلم يلبث أن احتاج الى اخرى ، وكلما طال لبثه تولد في بطنه من النفخ على حسب ذلك ، فقال : قولوا جميعا :ـ لا اله الا الله !! وارفعوا بها اصواتكم ، فقال الشيخ من المحراب :ـ « واطلع رأسه فقال » : لا تقولوا !! لا تقولوا !! قد قتلتني انما يريد ان يفسو!! ثم جذب اليه ثوب ابي كعب وقال :ـ جئت الى ها هنا لتفسو او تقص ؟ فقال :ـ جئنا لنقص ، فاذا نزلت بلية فلا بد لنا ولكم من الصبر !! فضحك الناس واختلط المجلس .

عبد الاعلى القاص

وكان هذا في عهد الجاحظ[٩] ، وكان قاصا فكها ايضا ومن نوادره التي كان يوردها في قصصه في الخصي[١٠] :ـ اذا قطعت خصيته قويت شهوته ، وسخنت معدته ، ولانت جلدته ، وانجردت شعرته ، واتسعت فتحته ، وكثرت دمعته .

وعبد الاعلى هذا هو الذى كان يقول في قصصه[١١] :ـ الفقير رداؤه علقه[١٢] ، ومرقته سلقه ، وجرذقته[١٣] فلقه[١٤] ، وسمكته شلقه[١٥] ، في طيب له كثير .

ويزيد على ذلك الجاحظ نفسه في كتاب الحيوان ، فيقول في نهاية القول[١٦] :ـ وسمكته شلقه ، وازاره خرقه » .

ومن طريف نوادر عبد الاعلى هذا انه قيل له يوما :ـ لم سمي الكلب قلطيا ؟ قال :ـ لانه قل ولطى . واذا قيل له :ـ لم سمي العصفور عصفورا ؟ قال :ـ لانه عصى وفر[١٧] .

ولو نظرنا طبيعة الاسلوب الذى صيغت به تلك القصص الظريفة

---

(٩) الجاحظ ــ البخلاء ، ط ١٩٥٨ ، ص٣٦٥

(١٠) الجاحظ ــ الحيوان ، ج١ ، ص١٠٧

(١١) الجاحظ ــ البخلاء ، ط ١٩٤٨ ، ص٩٤ السطر ١٨

(١٢) العِلقَة : اي القميص بلا كُمَّين .

(١٣) الجَردَق والجَردَقة : وهو الرغيف وجمعه : جَرادِق .

(١٤) الفِلقَة : نصف الشيء المفلوق ، او القطعة . المصدر السابق ، ص٦٢٦ ، مادة « فلق » .

(١٥) الشَلقَة : نوع من الاسماك رخصة العظم . المصدر السابق ، ص٤١١ .

(١٦) الجاحظ ــ الحيوان ، ج١ ، ص١٠٧

(١٧) الجاحظ ــ البخلاء ، ط ١٩٤٨ ، ص٩٤ ، السطر ١٥

والنوادر ، للاحظنا بادىء الامر انها صيغت بأسلوب مسجوع مستهوية السامع فيكون لها وقع في النفس ، وبذا يؤثر في نفوس العامة من الناس وخصوصا اولئك الذين كانوا يجلسون في حلقات ومجالس القصص تلك . ومعلوم ايضا ان مثل هذا الاسلوب كان يستعمل ولا يزال واعني به الاسلوب المسجوع في الكلام عند اولئك المكدين الذين يستجدون نوال الاخرين .

ومن القصص ما كان يصور سلوك بعض الاشخاص في المجتمع، احوالهم وطرق معيشتهم ، مع التلميح البسيط الى شيء من حياتهم العامة . كل ذلك مما يحمل على ان بعض القصص في هذا الدور اخذت تحتك بالمجتمع وبدأت تصور بعض افراده مما كان له الاثر فيما بعد . او يحتمل انه كان بداية الطريق الى ظهور نوع جديد من القصص التي كانت كثيرا ما تتخلل بعض المقامات والتي اتسم موضوعها بادىء ذي بدء بنقده اللاذع للمجتمع ، وان كان بأسلوب مبتدىء وغير مفصل .

ومن ذلك قول الجاحظ[١٨] :ـ حدثني ابراهيم السندي قال :ـ كان على ربض الشاذروان شيخ لنا من اهل خراسان ، وكان مصمما بعيدا من الفساد ، ومن الرشا ، ومن الحكم بالهوى . وكان حفيا جدا، وكذلك كان في امساكه ، وفي بخله وتدنيقه في نفقاته . وكان لا يأكل الا ما لا بد منه ، ولا يشرب الا ما لا بد منه . غير انه اذا كان في غداة كل جمعة حمل معه منديلا فيه جرذقتان وقطع لحم سكباج[١٩]

(١٨) الجاحظ ـ البخلاء ، ط ١٩٥٨ ، ص٢٤

(١٩) السِكباج : مرق يعمل من اللحم والخل . انظر : المنجد ص٣٥٢ ، مادة « سكب » .

مبرد ، وقطع جبن ، وزيتونات وصرة فيها ملح ، واخرى فيها اشنان ، واربع بيضات ليس منها بد • ومعه خلال ومضى وحده حتى يدخل بعض بساتين الكرخ وينظر موضعا تحت شجرة وسط خضرة وعلى ماء جار ، فاذا وجد ذلك جلس وبسط بين يديه المنديل ، واكل من هذا مرة ومن هذا مرة ، فأن وجد قيم ذلك البستان رمى اليه بدرهم ثم قال :ـ اشتر لي بهذا او اعطني بهذا رطبا ان كان زمان رطب ، او عنبا ان كان في زمان العنب • ويقول له :ـ اياك اياك ان تحاسبني ولكن تجود لي ، فأنك ان فعلت لم آكله ولم اعد اليك ، واحذر الغبن ، فان المغبون لا محمود ولا مأجور ، فان آتاه به أكل كل شيء اتي به ثم تخلل وغسل يديه ، ثم تمشى مقدار مائة خطوة ثم يضع جنبه فينام الى وقت الجمعة ، ثم ينتبه فيغتسل ويمضي الى المسجد • هذا كان دأبه كل جمعة ••••

واليك قصة اخرى من هذا اللون ، وهي تبين شخصا بخيلا وصلت فيه درجة البخل الى اقصى الحدود فيقول الجاحظ [٢٠] :ـ

قالوا :ـ واحتقن عمرو بن يزيد الاسدي بحقنة فيها ادهان فلما حركته بطنه كره ان يأتي الخلاء فتذهب تلك الادهان فكان يجلس في الطست فيقول :ـ صفوا هذا فانه يصلح للسراج •

أرأيت كيف بدأت القصة تنحو منحى جديدا في طبيعتها وفي اسلوبها وفي اعراضها وكذا القصاص • وكيف انها اخذت تحتك بالمجتمع وبواقع افراده وطبيعتهم كما اسلفت آنفا • ولننظر الان الى

---

(٢٠) الجاحظ ـ البخلاء ، ط ١٩٥٨ ، ص١٥١

مقاتل حيث يقول[٢١] :ـ

« سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسط فقال :ـ يا اهل العراق، يا اهل السبق والسباق ، ومكارم الاخلاق ، ان اهل الشام فى افواههم لقمة دسمة قد رتبت لها الاشداق وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال ، فالبسوا لها جلود النمور .... »

وكثير من هذا القصص الرخيص الذى لا يقاس بالنسبة للذى سبقه قبل قليل من حيث الاسلوب والمعنى .

---

(٢١) الجاحظ ـ البيان والتبيين ، ج١ ، ص٣١١

ومما تجدر الاشارة اليه هو الوصف الذى اورده الجاحظ بحق احد القصاص الذين كانوا يحترفون القصص فى عهده قوله :ـ « انه كان لغلبة السلامة عليه يتوهم عليه الغفلة » . **انظر : الجاحظ ـ البخلاء ، ط ١٩٥٨ ، ص٣٣٠ .**

كذلك الجاحظ ـ الحيوان ، ج١ ، ص١٠٧

كذلك الجاحظ ـ الحيوان ، ج٥ ، ص٢٢٥ ـ ٢٢٦

The Encyclopaedia of Islam, Vol. II, London 1927

Becker — Papyrii, Ip. 8 off.

P. 265 note 2.

المراجع

١ ــ الجاحظ : البخلاء ــ تحقيق طه الحاجري ، القاهرة ، ١٩٤٨ و١٩٥٨ .

٢ ــ الجاحظ : البيان والتبيين ــ تحقيق حسن السندوبي ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

٣ ــ الجاحظ : الحيوان ــ تحقيق عبد السلام محمد هارون ــ القاهرة .

٤ ــ ابن سعد : الطبقات الكبرى ــ ليدن ١٣٣٢ هـ ، ١٣٢٢ هـ

٥ ــ دائرة المعارف الاسلامية : باللغة العربية ــ القاهرة
وباللغة الانكليزية :
The Encyclopaedia of Islam, Vol. II, London, 1927

٦ ــ أبو يوسف : الخراج ــ القاهرة ١٣٤٦ هـ

٧ ــ ياقوت الحموي : معجم البلدان ــ الطبعة الاوربية .

٨ ــ الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ــ طبعة بتروزبورغ ١٨٦٥م

٩ ــ المكي : قوت القلوب ــ القاهرة ١٩٣٢ .

١٠ ــ البلخي « المقدسي » ــ البدء والتاريخ ــ باريز ١٩٠١م

١١ ــ الطبري : تاريخ الامم والملوك ــ طبعة القاهرة والطبعة الاوربية .

١٢ ــ المقريزي : الخطط المقريزية ــ مصر ١٣٢٤ هـ.

١٣ ــ جولد تسيهر : مذهب التفسير الاسلامي ــ تعريب الدكتور عبد الحليم النجار ، ١٩٥٥

١٤ ـ الدوري : الدكتور عبد العزيز : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ـ سلسلة « نصوص ودروس » ـ العدد العاشر ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٠ .

١٥ ـ النجار : عبد الوهاب : قصص الانبياء ـ مصر ، الطبعة الثالثة ـ ١٩٥٣

١٦ ـ الدوري : الدكتور عبد العزيز وناجي معروف ـ موجز تاريخ الحضارة العربية ـ بغداد ، ١٩٤٩

١٧ ـ القطيفي : علي الشيخ منصور المرهون ـ قصص القرآن ـ النجف الاشرف ١٩٥٥

١٨ ـ الكتاب المقدس : بيروت ، الطبعة الثالثة ١٨٩٠م.

١٩ ـ احمد امين : الدكتور : فجر الاسلام ، القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٣٣

٢٠ ـ خلف الله : الدكتور محمد احمد : الفن القصصي في القرآن الكريم ـ القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١

٢١ ـ خلف الله : الدكتور محمد احمد : الوظيفة الفنية للقصة القرآنية ـ مجلة القصة المصرية ، العدد السابع، القاهرة يوليو ١٩٦٤

٢٢ ـ الثعلبي : احمد بن محمد بن ابراهيم : قصص الانبياء المسمى بـ « العرائس » ، الطبعة الاولى ـ مصر ١٣٢٥ هـ.

٢٣ ـ جاد المولى : محمد احمد ومحمد ابو الفضل ابراهيم علي محمد البجاوي والسيد شحاته : قصص القرآن مصر ١٩٣٧

٢٤ ـ الحيدر آبادي : الدكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ـ القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ .
٢٥ ـ العمري : ابن فضل الله : مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق احمد زكي ، القاهرة ١٩٢٤ .
٢٦ ـ الغزالي : الامام : احياء علوم الدين ـ طبعة بولاق .
٢٧ ـ الكسائي : محمد بن عبدالله : قصص الانبياء ـ تحقيق اسحاق بن شاؤول ايزنبرغ ـ ليدن ١٩٢٢
٢٨ ـ العسقلاني : ابن حجر : تهذيب التهذيب ـ حيدر آباد ـ الدكن ١٣٢٧ هـ .
٢٩ ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ـ بولاق ١٢٩٩ (وستنفلد)
٣٠ ـ ابن قتيبة : المعارف ـ القاهرة ١٩٣٥
٣١ ـ الفيروزآبادي : مجد الدين : القاموس المحيط ـ مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٣٣ ، المطبعة المصرية
٣٢ ـ المنجد : بيروت
٣٣ ـ الاصفهاني : ابو الفرج : الاغاني ـ القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٨ .

المختصرات بحسب تسلسل المراجع

١ ــ الجاحظ : البخــلاء
٢ ــ الجاحظ : البيان والتبيين
٣ ــ الجاحظ : الحيوان
٤ ــ ابن سعد : الطبقات
٥ ــ دائرة المعارف الاسلامية : باللغة العربية ، واللغة الانكليزية.
٦ ــ ابو يوسف : الخراج
٧ ــ ياقوت الحموى : معجم البلدان
٨ ــ الدمشقي : نخبة الدهر
٩ ــ المكي : قوت القلوب
١٠ــ البلخي « المقدسي » : البدء والتاريخ
١١ــ الطبرى : تاريخ الامم والملوك
١٢ــ المقريزى : الخطط
١٣ــ جولد تسيهر : مذهب التفسير الاسلامي
١٤ــ النجار : قصص الانبياء
١٥ــ الدورى : علم التاريخ
١٦ــ الدورى ومعروف : تاريخ الحضارة العربية
١٧ــ القطيفي : قصص القرآن
١٨ــ الكتاب المقدس
١٩ــ احمد امين : فجر الاسلام
٢٠ــ خلف الله : الفن القصصي
٢١ــ خلف الله : الوظيفة الفنية
٢٢ــ الثعلبي : قصص الانبياء « العرائس »

٢٣ـ جاد المولى ورفاقه : قصص القرآن

٢٤ـ الحيدر آبادي : الوثائق السياسية

٢٥ـ العمري : مسالك الابصار

٢٦ـ الغزالي : احياء علوم الدين

٢٧ـ الكسائي : قصص الانبياء

٢٨ـ العسغلاني : تهذيب التهذيب

٢٩ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان

٣٠ـ ابن قتيبة : المعارف

٣١ـ الفيروزآبادي : القاموس المحيط

٣٢ـ المنجد

٣٣ ـ الاصفهاني : الاغاني

فهرس ابجدي

حرف الالــف

حرف الحـــاء

حرف الخـــاء

حرف الـــدال

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القــاف

حرف الكــاف

حرف الــلام

حرف الميــــم

حرف النــون

حرف الــواو

حرف الهــــاء

حرف اليـــاء

ثبت المواضيع

انتهى الطبع بتاريخ ١٩٦٦/٣/٢٨

ABDUL-HADI AL-FOUADI

NARRATIONS IN ISLAM

A brief study of the origin of the Islamic Narrations, their types and development throughout the Islamic periods, with glimpses of the first famous Moslem narrators.

Forwarded by
Dr. Ibrahim aS-Samarra'i
College of Arts,
University of Baghdad

Publication assisted by the ministry of Education,
Baghdad — IRAQ

Baghdad, 1385 A. H. — 1966 A. D.

الثمن : (١٥٠) فلسا